سكارلت

وقصص أخرى

عمر كمال الدين

ليليت للنشر والتوزيع

obeikandl.com

عمر كال الدين

سكارلت

رقم الايداع / ٥٧٢٨/ ٢٠١٤ط١

الترقيم الدولى / ٦ - ٦٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / سارة سليمان

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

هيئة تحرير ومراجعة

د/ سالم ابراهيم سالم

أ / رشا زقيزق

أ/ محمود السيد

المراسلات : ٦٠ ش سكينة بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithpublishinghouse.com

obeikandl.com

إهداء

إلي والدي رحِمَه الله ..أول من وضع في يديّ كتابًا..و شجعني علي القراءة..

تمنيتُ أن يكون بجانبي يراني أجني ثمارَ ما زرعه..

و يقرأ أول ما كتبت ..

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر

إلي **الله**

obeikandl.com

obeikandl.com

شكرخاص

لأمي، أشقائي و شقيقاتي..بالأخص سمر

إلي أصدقائي الذين شجعوني لكي يخرج هذا العمل الي النور

ريما الكردي، شهد نزار، دينا سمير، ممدوح بدر

و إلي أخي الروحي هاني يعقوب

obeikandl.com

obeikandl.com

« أفضل طريقة لنسيان إمرأة، هي تحويلها إلي قطعةٍ أدبية »

هنري ميلر

obeikandl.com

obeikandl.com

تياترو

في الستينيات، بالتحديدِ في عامِ ١٩٦٣م، في وسط البلد، في أحد شوارع القاهرة الواسعة التي تتسمُ بالهدوءِ و الرُقي، وبالتحديد شارع فؤاد الذي سُمي فيما بعد بإسمِ شارع يوليو، كانت أحداث هذهِ الحكاية.

و ما بينَ الأوبرا و فخامتِها، وما يُحيط بِها من حدائقٍ غنّاء، و ما يتناثرُ حولها من محلاتِ الذهبِ و المفروشاتِ الأنيقةُ و غيرُها من المحلات الأخري، يتوسط الشارع ذلك المبني واقفاً بكل عظمةٍ و شموخٍ، شاهداً علي التاريخ، رمزًا للأصالة و الإبداع، تعلوه تلك اللآفتة المكتوبة بخطٍ عربيٍ قديمٍ" تياترو حديقة الأزبكية"، أو كما يُسمّيه البعض إختصارًا " تياترو".

في الساعاتِ الأولي من الظهيرة دلفَ إلي المكان شابٌ قمحي اللون ذو ملامح هادئة يرتدي بدلةً بنيةَ اللون مصففاً شعرهُ مثل عبد الحليم،كما إعتاد أبناء جيله أن يفعلوا، من بدلةٍ و "تسريحة الشعر" و ما إلي ذلك من أشياء، وقف أمام أفيشات الأفلام و المسرحيات المعلقة علي الحوائطِ حائرًا.

obeikandl.com

ظل كذلك لدقيقةٍ كاملةٍ قبل أن يتجه إلي " شباك التذاكر" في خطوات هادئة، و لكنه لم يجد أحدًا به، حاول أن يسترق النظر إلي ما داخل الشباك، و لكنّ الضوء لم يكن كافياً ليجعلهُ يري أي شيء، وقع بصره علي جرس صغير ذهبي اللونَ من تلك الأجراسِ التي توضعُ في شبابيك استقبالِ تلك الأماكنِ من سينمات و مسارح و فنادق، ضغط علي الجرس مرّتين ثم انتظر، و لم يأت أحدٌ، ضغط مرة أخري ثم إستند بساعده علي حافة الشباك ناظراً إلي الشارع في شرود.

- آسفة، لقد استلمتُ نوبتي للتو و كنت أرتدي زي العمل الرسمي..آسفة.

حركَ رأسه ناحية شباك التذاكرمن حيثُ أتي الصوت و وقع بصرهُ عليها، كانت فتاة ذات بشرة برونزية فاتحة و عينين بُنتين واسعتين كأُنثي الغزال، وأنف دقيق و شفتين مرسومتين بدقة تزين أعلاهُما تِلك الشامة الصغيرة ، وأسفلهُما طابعَ حسنٍ رقيق، ينسدلُ شعرهُا الأسود الفاحم علي كتفيها ليزيدها أنوثة و رقة، ظلّ محدقًا بها حتي أخرجتهُ من صمتهِ.

- سيدي، هل سمِعتني ؟ أخبرتُك أنني آسفة، إستلمتُ للتو..
- نعم نعم، آسف، لقد شردتُ للحظاتٍ، لا عليكِ.

قالها و هو يحاول أن يُحركَ ناظريهِ المثبتينِ عليها في خجل، إبتسمت في رقة قائلة :

- حسناً، كيف أخدمك ؟
- آه، أريدُ تذكرةً لفيلم .....فيلم..!

كان في حيرةٍ حقيقيةٍ، نسيَ تمامًا ما الفيلم الذي أراد دخولهُ قبل أن يراها

- لا تقلق، سأساعدك, رابعة ؟ أميرة العرب ؟ البابُ المفتوح ؟

قالتها و مازالت تلك الابتسامة الرقيقة مُرتسمة علي ملامحها

إتسعت عيناهُ في زهوٍ كمن وجدَ كنزاً للتوِ ثُمّ قال هاتفًا:

- نعم نعم، أميرة العرب, هذا هو!

إبتسمت له وهي تقطع التذكرة قائلة :

- شِلن
- ها ؟

قالها و هو محدقًا في عينيها غير مستوعب ما تقوله.

- شِلن، سعر التذكرة شِلن
- آه, فهِمت، حسناً

أخرج شلِنًا ورقيًا من جيبه و أعطاهُ لها و تناول التذكرة من يدِها

- شكرًا.

obeikandl.com

كادَ أن يمضي و لكنهُ أراد أن يُطيل الحديثَ معها بقدرِ الإمكان فتوقف للحظاتٍ ثم سألها :

- و لكن ماهو ميعاد العرض القادم ؟

نظرت في ساعتها قائلةً :

- بعد نصف ساعة من الآن، في الثالثة تمامًا.
- في أية قاعة ؟
- القاعة الأولي.
- ممم، حسنًا، متشكر جدًا.

قالها و إنصرف بعد أن نفِذت منه الحجج و الأسئلة.

إتجه الي القاعة، و لكن قبل أن يدخُل حانت منه التفاتة تجاهها، حيث رآها تداعب شعرها في دلالٍ و هي تكتب شيئاً في دفترٍ أمامها.

رآها و دلف الي القاعة منتبهاً للتو أنه قد إختار الفيلم الخاطيء فإبتسمَ و هو يخبط رأسه بيدهِ ضاحكاً

- يالك من أبله يا سراج ...!

بعدَ نهاية العرض، إتجه سراج مُسرعًا الي خارج القاعة و لكنهُ سُرعانَ ما أبطأ من مشيتهِ حينما وقع بصرهُ عليها، كانت تقفُ في الشباك منهمكةً

obeikandl.com

في قطع التذاكر للأشخاص الوافدين علي السينما و المسرح، ودّعها بنظراته ثُمّ مضي مغادرًا و هو يبتسم و ذلك البريق يتلألأ في عينيه، منبئًا عن إحساس بدأ ينمو في قلبه تجاهها.

****

بعدَ أسبوعٍ عاد سراج من جديد إلي المكان، إلي تياترو، في نفسِ الوقت، توقف خارج المبني ثم مسح مقدّمة حذائه بأسفلَ بنطالهِ، ربتَ على شعرهِ و عدّل من هندامه و دلفَ الي المكان في هدوءٍ و هيبةٍ مُصطنعتين ، لم ينظُر هذهِ المرة الي "أفيشات" الأفلام و إنّما اتجه الي شباك التذاكر علي الفور، إليها، كانت تقفُ هُناك مستندةً إلي الشباك، واضعةً يدها علي خدِها ناظرة إلي السقف في شرود، وصلَ إلي الشباك فإنتبهت له معتدلة في مكانها، ثم إبتسمت له قائلة :

- مرحباً، كيف أخدمُك ؟
- مرحباً، أريدُ تذكرةً لفيلم الباب المفتوح.

ردّت عليه بضحكة ساحرة :

- أنت تتذكرُ هذهِ المرة !

إبتسم في خجل ثم هرشَ رأسُه قائلا :

- نَعيش و نَتعلّم ..!

obeikandl.com

- هذا صحيح ..إليك التذكرة ..شِلن ..

أعطاها شِلنًا ورقيًا قائلاً :

- شكرً, كنتُ أود أن أعرفَ متى سي..
- في الثالثة تمامًا، بعد نصفِ ساعة من الآن.

قالتها مقاطعة إياه مرتسمةً في عينيها نظرة ماكرة، و كأنّما قد سبّرت للتوِ غورهُ و عرفت ما يحاولُ أن يفعله من مماطلةٍ كي يُطيل الحديث معها.

كاد أن يفتح فمّه من جديدِ لسؤالها فقاطعتهُ ..

- القاعة الثانية..

قالتها بنفسِ النظرة الماكرة و هي تسندُ خدّها الي يدِها في دلال.

إمتزجت ملامحهُ بين الخجلِ و السرورِ ثُمّ نظر إليها قائلاً :

- حسنًا، مُتشكر جدًاً.
- العفو.

تركها و غادرَ مُتجهًا إلي القاعة، و مِن جديدٍ حانت منهُ التفاتةٌ تِجاهها و لكنّهُ وجدها تنظُر له بنفسِ النظرة الماكرة و هي مازالت ساندة خدها الي يدِها مِما جعلهُ يدير وجههُ في ارتباك دالفا الي القاعة في سرعة .

- يا إلهي ..لقد كشَفَت أمري، إنها تعرف الآن قطعاً ! و الآن

obeikandl.com

سأستلمُ جائزة أكثر سُكّان القاهرة بل سُكّان الأرضِ بلاهةً، سأحاولَ أن أُصحح هذا الوضع قليلا حينما أخرُج.

بعدَ إنتهاء عرضِ الفيلم خرجَ سراج مُتجهاً الي خارجِ القاعة و مِنها الي خارجِ المبني في خطوات سريعة، محاولاً ألاّ ينظُر إليها، وصلَ إلي خارج المبني، إحساسه يقتله، يريد أن يعود ليراها ولو للحظةٍ، و لكنّهُ تحاملَ علي نفسه و مضي مغادرًا في خطواتٍ سريعة.

****

بعدَ أسبوعٍ عاد من جديدٍ في نفس ميعاده المعهود، ودلفَ إلي المكان مُتجهاً إلي شِباك التذاكر راسمًا علي ملامحِهِ جديةً مُصطنعةً، كان شِباك التذاكرِ فارغًا، فضغط علي الجرسِ مرتينِ، تهادي إلي مسامعهِ صوتُ وقعِ أقدام أنثوية، حتي ظهرت صاحبتها، و لكن لم تكُن هي، كانت فتاة أخري، إستبدَ بهِ القلق و عقدَ حاجبيهِ في ضيقٍ.

- مرحبا، كيف أخدمُك ؟

قالتها الفتاة بكلِ برود.

- ممم ..أريدُ تذكرة
- أي فيلم ؟

مرت لحظات و هو يفكرُ في شرودٍ فقاطعتهُ قائلةً :

obeikandl.com

- يا أُستاذ ! أي فيلم ؟
- آه..الساحرة الصغيرة.
- خمسة قروش!

أعطاها النقود و تناولَ التذكرة في بطءٍ ثُمّ مضي مُغادراً إلي القاعة، و لكنّهُ سُرعانَ ما توقفَ عائداً إلي شباك التذاكر.

- لو سمحتِ..كانت هُناك فتاة تقفُ في الشباكِ بدلاً مِنك و...
- آه, إستبدلتُ ورديتي الصباحية معها ..أتريدُ شيئاً مِنها ؟

قالتها في تأففٍ شديدٍ.

- لا، شُكراً.

إستدار مُتنهِدًا في إرتياح و السرور يرتسمُ علي ملامحهِ، دلفَ الي القاعة و جلس يُقلّب الأفكار في عقلهِ

- كيفَ أصبحتُ مُدمنًا لرؤياها ! كيفَ إستبد بي القلق لهذهِ الدرجة عِندما لم أرها ..كيف !!

قاطعَ افكاره صوت بدايةُ العرضِ فخرجَ من شروده ناظرًا الي الشاشة في شرودٍ جديد.

لم يستطِع سراج أن ينتظر حتّي الأسبوعِ التالي، فعادَ في اليومِ التالي، في

obeikandl.com

الثامنةِ و النصف صباحاً بالتمامِ كانَ يقفُ أمام تياترو، دلفَ إلي الداخل و نبضات قلبهِ تتسارع، إتجهَ الي شباكِ التذاكر في سرعةٍ و لكنهُ وجدهُ فارغاً، زفرَ في ضيقٍ ثُمّ مدّ يدهُ ناحية الجرس في بطءٍ، و كادَ أن يضربه و لكنهُ سمع وقعَ أقدام أنثوية تقتربُ من داخلِ غرفة الشباك، بلعَ ريقهُ في صعوبةٍ و قلبهُ يكادُ يتوقف منتظرًا وجهَ تلك القادمة هذه المرة، و كانت هي بعينيها، بشفتيها، بطابعِ حُسنِها، بإبتسامتِها المعهودة، شعرَ أنّ قلبه يُصرخ مهللاً داخل صدره و أنَ كلَ خلاياه قد أعلنَت الاحتفال فرحاً لرؤيتِها مِن جديدٍ، حاولَ الحفاظ علي رباطةِ جأشِه أمامها و لكنّ خذلتهُ ملامح وجههِ، فإبتسمَ إبتسامةً عريضة و لمعت عيناهُ في سرورٍ كبير.

- مرحبا، أليس الوقت مبكرًا؟

كانَ سؤالها مفاجئاً بالنسبةِ اليه خاصةً مع ابتسامتها الماكرة تلك، ما جعلهُ يرتبك محدقاً إليها في صمت ثُم هرشَ رأسهُ قائلاً :

- لقد تمّ الغاء المُحاضرات اليوم و وجدتُ أن الوقت مازالَ مبكراً للعودة للبيت لِذا قررتُ المَجيء.
- آه..حسناً، كيفِ أخدمُك ؟
- تذكرة لفيلم ...فيلم....!
- نسيت من جديد ؟ سأُساعدك.

لنرَ..لقد دخلتَ أميرة العرب و الساحرة الصغيرة، ماذا عن رابعة و الباب

المفتوح ؟

أنا أُرشح لكَ الباب المفتوح ..فيلمٌ رائع !

قالتها في حماسٍ مُصطنع وفهِم هو أنّها عرفت بوجوده هُنا بالأمسِ و سؤالهِ عنها، و برغمِ خُبثِها لم يشأ أن يكسِفها.

- حسناً، أعطني تذكرة للباب المفتوح، و إليك النقود.

تناولَ مِنها التذكرة و نظرَ إليها في غضب رقيق قائلاً :

- شكرًا، القاعة الأولي، صحيح ؟

قالها بطريقة ذاتَ مغزي فأشارت لهُ برأسِها ناظرةً لهُ في مكر، دلفَ الي القاعة و تحاشي الالتفات إليها قبلَ أن يدخُل، جلسَ إلي مقعدهِ ملتفتاً إلي ما حولهُ من أشخاصٍ، كان أغلبُهم من فئةِ العشاق الصغار الهاربينَ من مدارسِهم، سارقينَ من القدرِ لحظاتَ عشقٍ مؤقتةٍ، ظانينَ أنّ ذلكَ الحلم سيدوم بهِم للأبد، وجدَ نفسهُ الشخص الوحيد الذي جاءَ بمفردهِ وهو أيضاً أكبر الأشخاص سناً بين الموجودين، حاولَ أن يدفنَ نفسهُ داخل ذلكَ المِقعد و أن يتحاشي نظرات الجميعِ، و أنقذهُ بدايةَ العرضِ و إنطفاء الأنوار في القاعة، وبعدَ إنتهاء العرض خرج من القاعة مُلقياً بصرهُ علي الشباكِ و لكن لم يجدها، حاولَ التباطؤ في مشيتهِ متظاهراً بمشاهدتهِ" أفيشات" الأفلام المعروضة، ظلّ علي تلكَ الحالِ لدقائق و لكنّها لم تظهر فغادرَ المبني مصحوباً بخيبةِ أملٍ هائلة لا مثيلَ لها.

obeikandl.com

مرَأسبوع..وعاد سراج مُجدداً..في الثامنةِ و النصف صباحاً كالمرةِ السابقة، هَمّ بدخولِ المبني و لكنهُ توقف، كانَ في صراعٍ حقيقي مع أفكارهِ التي تختلج في نفسهِ، وماذا بعد يا سراج ؟ تأتي مرة تلو المرة، تراها, تبتسمُ كالأبلهَ ثُم ـ تشتري تذكرة لفيلم لا تُحبه و بالكاد تعرف أبطاله تشاهده قسراً ثم تغادر ! ماهذا الجنون ! لابدّ أن تتواصلَ معها، أن تُجري معها حديثاً بأي شكلٍ من الأشكال، و لكن ماذا لو، ماذا لو أحرجتكَ يا سراج ؟! ستخسرها للأبد, يجبُ أن أجد طريقةً ما، مدخلاً الي قلبِها، جلسَ إلي عتبةِ التياترو يُفكر شاردًا في السماءِ، ظلّ علي تلك الحال لدقائق يعتصرُ عقله بحثاً عن الأفكار، و لكن بلا فائدة، كانَ يَهمّ بالنهوض حينما مرت سيدة عجوز و مالت عليهِ واضعةً عملةً معدنية في يده.

- الله يسهل لك يابني !

فتح سراج عينيه في ذهول ناقلاً بصره بين العملةِ التي في يدهِ و بين السيدة التي مضت في طريقِها.

- وجدتُها !

نهضَ واقفاً ثُمّ أخذَ يهرول كالمجاذيب في الشارعِ متوقفاً أمامَ كَل من يمُر طارحاً نفس السؤال :

- هل معكَ قلم ؟

و في كل مرة تكون الإجابة بلا ..

قاربت الساعة علي التاسعةِ و مازال يبحثُ عن قلمٍ مع أحدِ المارة.

كانَ علي شفيرِ اليأس حينما وقعَ بصرهُ علي واحدٍ من أولئكَ الطلبة الهاربينَ من مدرستهِ.

- لو سمحت، هل لديكَ قلم ؟
- نعم بالطبعِ و لكن ..
- سأستعيره لثوانٍ و أعيده إليك، لا تقلق
- حسناً ..هاهوَ.

تناول سراج منه القلمَ ثُمّ أخرجَ عشرةَ قروشٍ ورقية من جيبه " باريزة" و جثا علي ركبتهِ و بدأ يكتب علي العملة الورقية مستنداًعليها، كتب بخط كبير بعرض العملة الورقية " أنا معجب بكِ جداً..أتمني مقابلتك..ما رأيُكِ؟ "ثُمّ نهض و أعاد القلم لصاحبه.

- شكراً جزيلاً !
- العفو !

قالها صاحب القلم في إندهاشٍ شديدٍ و مضي.

- والآن سأنفذ خطتي..أتمني أن تنتبه الي ما كتبته علي العملة الورقية ..يارب!

obeikandl.com

دلف الي المبني متجهاً إليها و الثقة ترتسم علي ملامحه.

- صباحُ الخير.
- صباحُ الخير، كيف أخدمك ؟

قالتها بتلك الابتسامة الساحرة ..

- تذكرة لفيلم سلاسل من حرير..

قالها فارداً تلك العملة الورقية بيديه الإثنتين أمام وجهه للحظات، ثم ناولها اياها في بطء، نظرت له متعجبةً ثم تناولت العملة في هدوءٍ و إنتظرت لحظات.

- ممم آسفة، لا يوجد فكة، هل يمكنك العودة هنا مرةً أخري بعد نهاية العرض لتأخذ ما تبقي لك من نقود ؟

تهللت أساريره قائلاً :

- حسناً حسناً، هذا جيد, شكراً لكِ!
- العفو، حاول أن تُسرع فالفيلم علي وشكِ البدء في أية لحظةٍ الآن.
- حسناً ..وداعاً.
- وداعاً.

obeikandl.com

إستدار متجهاً في سرعةٍ الي القاعة و قلبه يكاد ينفجر فرحاً.

- لابد أنها فعلت ذلك كي تأخُذ وقتها لتكتُب الرد المناسب حتي أعود ثانيةً بعد نهاية العرض ! أخيراً ..أكاد لا أصدق نفسي!

بدأ بعد ذلك العرض و هو يشاهد بعينيه و لكن عقله و قلبه في مكانٍ آخر..

مرت اللحظات ثقيلةً عليه و هو ينتظر علي أحرّ من الجمر، و ما أن إنتهي الفيلم حتي خرج من القاعة مسرعاً، متجهاً الي شباك التذاكر، كانت هناك تداعب شعرها في عدم إهتمام ناظرةً الي دفترٍ أمامها.

- مرحباً, لقد جئت كما إتفقنا.
- آه، مرحباً، لحظة.

رمقها ببصره متلهفاً حتي مدّت يدها مناولةً اياه شلنًا ورقيًا، تناوله في لهفةٍ مقلباً اياه بحثاً عن الرد، و لكنه لم يجد شيئاً، نظر إليها في إندهاش ماطاً شفتيه في إمتعاضٍ شديدٍ، صمت للحظات ثم سألها قائلاً :

- ألا يوجد غير هذه العملة ؟
- هناك غيرها و لكن فضة.
- ممم ..لا شكراً .

إستدار مغادراً و الحسرة تتآكله، و خيبة الأمل تعتصر قلبه بلا رحمة.

obeikandl.com

- لماذا لم ترد، لماذا لم تقُل شيئاً !؟ لماذا!؟ ، لعلها لم تر ما كتبته اليها ..ربما ! لن أيأس، سأحاول ثانياً حتي تري ما أكتبه إليها و ترد عليّ، سأحاول مجدداً في الأسبوع المقبل!

مرّت الأيام وهو يكرّر فعلته، مرةً تلو المرة، يكتب إليها علي العملات الورقية مراراً و تكراراً ولا يجد رداً، سبع مراتٍ حتي الآن علي مرِ شهرين دون جدوي، مجرد رسائل ذات اتجاه واحد فقط، منه إليها، في كل مرة نفس الرسالة ..” أنا معجب بكِ جداً..أتمني مقابلتك..ما رأيُكِ؟“.

ولكن بلا رد، كان قد فقد ما تبقي لديه من أملٍ، وتغيب عن الذهاب للتياترو لشهرٍ و نصف.

****

في إحدي المقاهي الشعبية بالحسين، و في وسطِ زحام الجالسين هُناك، دار هذا الحوار علي إحد الطاولات :

- شيش بيش !
- يالك من محظوظ !
- هناك فرق بين الحظ و الشطارة يا مُغفل !
- أنت محظوظٌ فقط !
- ..لندع سراج يحكم بيننا، سراج !..سراج !

- نعم يا سي محمود !
- حسين يقول أنني محظوظٌ فقط..أفتقر الي الشطارة !
- دعكَ من تلك السخافات !
- الله ..ماذا أصابك ؟!
- الملل..الملل أصابني يا محمود.

قاطعهما حسين قائلاً :

- حسناً لنكسرَ الملل !

رد عليه سراج متأففاً :

- كيف يا فالح !
- إصبر علي رزقِك ! هُناك فيلم بالسينما منذ يومين إسمه " الأيدي الناعمة " ، يقولون أن به الضحك للرُكَب !

أشاح سراج بوجهِه قائلاً :

- دعك من هذهِ السيرة العفنة !
- إسمع بس، سيعجبُك هذا الفيلم ..

قاطعه محمود قائلاً في تلذذ مُقبلاً أصابعه :

- ثُمّ إن به ثلاث من المُمثلات ، لوز يا سراج !

obeikandl.com

نهض حسين من مقعده قائلاً :

- هيّا هيّا، أمامنا ساعة حتي حفلة الثالثة، يادوب !

نهض محمود هو الآخر هاتفاً إلي القهوجي:

- الحساب يا عرب ! سأدفعُ أنا هذه المرة يا أوغاد، و عليكم بحساب السينما !

نهض سراج من مقعده و هو يزفر في ضيقٍ قائلاً :

- حسناً ! هيا بنا

تهللت أسارير محمود هاتفًا : إلي تياترو !

****

وصل ثلاثتهُم إلي السينما و دلفوا الي الداخل متجهين إلي شباكِ التذاكر.

مالَ محمود علي كتف سراج هامساً :

- ستدفع أنت يا حُلو كما إتفقنا !
- أعرف أعرف !

لم يكن هناك أحدٌ يقف في الشباك فضغط سراج الجرس مرتين، مرت لحظات حتي سمع وقع أقدامٍ أنثويةٍ تقترب.

obeikandl.com

كانت هي ..

بشعرهِا، بطابعِ حُسنِها، بشفتيها، و لكنّ شيئاً في عينيها قد تغير، قد تبدّل، وصلت إلي الشباك و قابلته بابتسامةٍ ذابلة.

- مرحباً، كيف أخدمُك ؟
- ثلاث تذاكر، الأيدي الناعمة.

قالها مناولاً إياها ريالاً كعملة ورقية واحدة (عشرونَ قرشاً) تناولت منه النقود في إرتباكٍ قائلةً :

- لا يوجد فكة ..هل يُمكنك العودة بعد إنتهاء العرض و أخذ ما تبقي ؟

قال في نفسهِ :

(تلك اللعينة لم تكفّ عن ألاعيبها بعد!)

إبتسم متناولاً التذاكر منها قائلاً :

- حسناً، شكراً لكِ.

ثُمّ صاح في محمود الذي كان محدقاً بها :

- محمود ! يا أخينا! هيا !
- آه ..آه حسناً.

obeikandl.com

ثُمّ إستطرد هامساً في أُذنِ سراج :

- ملبن !
- إخرس !

قاطعهُما حُسين :

- الفيلم سيفوتنا يا ولاد ال ...

****

بعد إنتهاء عرض الفيلم خرجَ الثلاثة مغادرين القاعة متجهين إلي الخارج.

- حسين، إذهب و اِئتِ بالباقي.

قالها سراج مشيراً بيده إلي شباك التذاكر.

- لا، فليذهب محمود.
- لا، ليس محمود، سأذهب أنا

إتّجه سراج الي الشباكً مُخاطباً الفتاة.

- لو سمحتِ ..كنتِ قد طلبتِ منا أن...

قاطعتهُ قائلةً :

- نعم نعم، هاهو الباقي.

obeikandl.com

قالتها و هي تنظر إليه في قلق.

- شكراً يا آنسة.

قالها سراج و إنصرف عائداً الي حسين و محمود

- ليلي ! أهو اليوم الموعود ؟

كان الصوت آتٍ من خلفها فإستدارت قائلةً :

- سلوي،نعم، تقريباً هو كذلك.
- سيأتونَ اليوم ؟
- نعم ..في السابعة، و لذلك طلبتُ منكِ أن تستلمي مني الوردية اليوم .
- لا عليكِ, يعني هل وافقتِ عليه ؟ سأري بيدكِ الدبلة قريباً ؟
- مبدئياً نعم، إلَّا إذا حدث أمرٌ ما.

قالتها ليلي و عيناها تتبع سراج وهو يغادر المبني مع أصدقائه.

****

بعد ساعتين كانوا الثلاثة يسيرون علي كورنيش النيل.

- أين سنذهب الآن؟

قالها سراج و هو مُطرقٌ برأسه.

obeikandl.com

ردَّ عليه حسين :

- مازالت السابعة، نعود إلي المقهي، ما رأيكم ؟

أخرج سراج الشلن من جيبه ملوحاً به في وجههم قائلاً :

- لم يتبق معي غير هذا الشلن، لا أظُنَّ أنني سأذهب إلي...

<< صميت و بيض و جبنة ! >>

كان ذلك هتاف أحد الباعة الجائلين بجانبهم، فإختطف محمود الشلن من يدِ سراج قائلاً:

- أنا جائع يا أوغاد !

ثم إتّجه مسرعاً الي البائع و ناوله الشِلن قائلاً :

- هيّا أرجوك، أنا علي لحم بطني منذ الصباح يا عم !

ناوله البائع لفةً من البيض و السميط و الجُبن ثم تناول الشِلن من يده و قبّله و مسح به علي جبهتهِ

- شُكراً يا عم !

قالها محمود و عاد مسرعاً الي أصدقائه،ثم ساروا مغادرين في هدوءٍ مبتعدين عن ذلك الرجل.

قبل أن يضع البائع الشِلن في جيبه لفتت نظره تلك الكتابات عليه، ففرده

obeikandi.com

بيده و أغمض عينيه نصف إغماضةٍ محاولاً قراءة ما كُتبَ عليه، و بدأ يقرأ هامساً :

أنا أيضاً معجبةً بك .. سأُقابلك أمام دار الأوبرا في السادسة تماماً ..أرجوك ألاَّ تتأخر..إنها مسألة حياةٍ أو موت ..

ليلي .. تياترو

obeikandl.com

حكايات يناير

إلي كُلِ عاشقي الإسكندرية ببحرِها و بردِها و أهلِها و كل تفاصيلها

إلي كُلِ عاشقي شتائِها ..

إلي كُلِ من له حكاية بدأت في يناير و إنتهت في يناير..

حكاية سفر ، حكاية مصير ، أو حكاية حب..

أهدي لكم ....

obeikandl.com

obeikandl.com

كانت السادسة و النصف صباحاً من أولي نهارات يناير، كانَ الطقس يوحي بأنَّه سوفَ يكون شهراً بارداً، بارداً للغاية، خرج ذلك الشاب من أحد الشوارع الجانبية ثُمَّ وقف إلي جانبِ الطريق محاولاً إيقاف سيارة أجرة ولكن بلا جدوي، مرّت عشر دقائق كاملةً قبل أن تتوقف له إحدي سيارات الأجرة المبتهجة باللونين الأسود و الأصفر، ركب السيارة و تنفس الصعداء.

- الإبراهيمية يا أُسطي.

ثُمَّ أخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله و قام بإتصال

- آلو!
- آلو ..يوسف.
- حبيبتي ..أمامي نصف ساعةٍ بالكثير ..سأنتظرُكِ أمام المدرسة
- لا، عند المتحف
- حسناً، سأتصل بكِ حينما أصل، سلام
- سلام

مرّت ربع ساعة و لم يتبادل يوسف و سائق التاكسي حتي نصف كلمة

و ما أن وصل لوجهته حتي دفع الأجرة و نزل من السيارة ثُمَّ شكر السائق، لم تكُن الفتاة قد وصلت بعد-عند المتحف-فظلَّ ينتظرها محتضناً نفسه

obeikandl.com

من قسوةِ البرد و شدة اِلرياح، كان الطقس يوحي بأنه سيكون مطيراً في غضونِ دقائق، أخرج تليفونه وهمَّ بالإتصال بها ولكنه رآها قادمةً من بعيدٍ علي وجهها تلك الابتسامة التي ألفها و ما أن رآها حتي تلاشي بردُ الشتاء من حوله، بل تحول إلي نسمة صيف حارةٍ تُداعبه في لطفٍ، و ما أن إقتربت منه و صافحت يدُها يده حتي تحوّلت نسمة الصيفِ الي لهيبٍ صَاحبَها إزيادُ ضرباتِ قلبه و كأنَّها ترقُص علي أنغام التانجو.

تلون العالم من حوله بألوان قوسِ قزح، و كأنَّه في أحد أفلام ديزني للرسوم المتحركة، لم تكُن تلك مصافحة أقرب ما كانت الي تلامُس الأرواح بالنسبة إليه و كأنَّما غاص في روحها و غاصت هي في روحه.

- أتأخرتُ عليك ؟
- لا أبداً يا حبيبتي، لقد وصلتُ لتوي.
- الجو شديد البرودة اليوم يا يوسف.

رآها و هي تفرُك كفّيها من شدة البرد فقام بخلع معطفه و وضعه علي كتفيها

- أهكذا أفضل ؟
- نعم، لكن، أنت ترتدي ملابساً خفيفة
- لا عليكِ يا مي، معكِ أشعر بالدفء، ثُمَّ ما المانع في أن نقلد أبطال السينما ؟

ضحكت لما قاله و إحمرَّ وجهها خجلاً و ضربته بخفةٍ علي كتفه قائلةً :

- بس بقي، الله !
- عسل.
- إختشي !
- طيب، ألا يوجد حل آخر كي أراكِ بدلاً من هذه ((التذنيبة)) في كل مرة ؟ ليس من المعقول أن آتِ اليك من آخر الدنيا لأراكِ عشر دقائق و أمشي !
- أنتَ تعلم جيداً أنني أحلم بالخروج معك، و لكنك تعرف جيداً كم يكرهك أبي، إذا رآنا سويا، فسيقتُلني، بالمعني الحرفي للكلمة، ثم إنه دائماً ما يرسل معي ((الدادة)) أو عم ربيع في أي مكان أذهبُ إليه، ما عدا المدرسة، لأنه لا يشك لحظة أنك ستجرؤ للقدوم هُنا، و هذا من حسنِ حظنا يا يوسف.

نظر إليها في خيبةِ أمل قائلاً :

- مازلتُ لا أصدق أنه طردني حينما جئتُ أطلب يدُكِ.
- أنتَ تعرف أنه صعب المراس، و يريدُ شخصاً بنفس درجة ثرائِه..
- أعرف، لكنه يطلب المستحيل، و لكن أنا لا أهتم، أريد فقط أن أراكِ، بعيداً عن هنا، وبالطبع ليس في السابعة صباحاً !

obeikandl.com

- لا تقلق، أنا أعُدُّ لك مفاجأةً بخصوص هذا الشأن.
- فعلاً؟
- نعم ،قريباً..
- يا مسهل !

نظرت مي إلي ساعتها قائلةً :

- و الآن يجب أن أمضي، تأخرت علي ميعاد المدرسة
- إنتظري ! هل تناولتِ فطوركِ ؟
- ممم ليس ثانياً يا يوسف!
- أجيبي !
- لا ..لا أُريد !
- (لا) لا توجد في قاموسي، الفطور شيء أساسي،كي تظلي دائماً جميلةً كا أنتِ، تعالِي !

أمسك يوسف يدها في رقةٍ و نظر الي جانبي الشارع لكي يعبر بها

و إتَّجه إلي ذلك ((الكُشك)) بجانب المدرسة

- صباح الخير يا سمر.

كانت سمر فتاةٌ مصريةٌ بالمعني التقليدي، تلك البشرة القمحية و الشعر

obeikandl.com

الأسود الفاحم و تلك البِنية البسيطة الصغيرة ..عرف يوسف من مي بأنها في الجامعة و رغم ذلك فهي تقفُ في ذلك الكشك لتُساعد أهلها، أمها و إخواتها الثلاث الصغار اليتامي..

- صباح النور يا أُستاذ يوسف
- أُستاذ ! يا سمر، خلي البساط أحمدي، هاتِ لي....
- أعرف أعرف، كرواسون و عصير تفاح، أليس كذلك ؟

ابتسم يوسف و هزَّ رأسه مشيراً بالموافقة.

دفع لها ثمن الأشياء و ودَّعها و مضي هو و مي.

- معكِ الكرواسون و العصير، كليهم يا مي الآن أو في الفسحة.

قالها ثم أخرج لسانه لها

- فسحة !، حسناً يا يوسف ..أتهزأ بي !

إنهار يوسف ضحكاً ثم قال لها :

- إسمعي الكلام يا بنت !
- حاضر يا أبي
- كم أنتِ فتاةٌ مطيعة..
- إمشِ..!

obeikandl.com

ودَّعته و دخلت الي المدرسة، و ودَّعها هو بنظرات ذات مغزي.

لم يكن يريدُ أن يذهب الي البيت، كان يشعر بوحشةٍ شديدةٍ بعد أن تركته و دلفت من باب المدرسة، و عاودته برودة الشتاء لكي تنتقمُ من كلِ نسماتِ الصيف الحارة التي تحولت إليها بفعل إبتسامة مي و لمسات يديها، عاد العالم ليصير بالأبيض و الأسود.

فكَّر في أن يتمشي حول المدرسة و المتحف قليلاً لعله يقتل بعض الوقت و ينتظرها حتي تخرج.

أخذ يتمشي و يتمشي، كان يسير في نفس الشوارع مرة تلو الأخري .

لم يكتف العَالمُ بعقابه بالوحدة أو بالبرد فقط، و لكنَّ العقاب إزداد شدةً حينما بدأت الأمطار في الهطول عليه، و نسي أنه أعطاها معطفه، فلم يملك إلا الإبتسام في وجه القدر.

نظرَ حوله فوقع نظره علي تلك البناية التي تمثل شمسية كبيرة له من الأمطار اتجه ليختبيء بين جدرانِها حتي يهدأ المطر.

و مرّت الدقائق و هو مختبيء و لم يكفَّ المطر عن الهطول.

- فين الشاي بتاعي يا عم حسين ؟

سمِع يوسف الجملة تُقال بلكنة مصرية ركيكة بعض الشيء.

إستدار ليجدها سيدة في الخمسينيات من عمرها، و لكنَّها رشيقة رغم سنها، ذات عيونٍ زرقاء و شعرٍ أبيضٍ فضي قصير (ألا جارسون) كما كانت السيدات يُصففنَ شعرهنَّ في الستينيات، كانت تستند علي مدخل احدي ((السيبرات)) أو النت كافيه كما يقال، يبدو أنها صاحِبتهُ.

- أحلي شاي بنعناع للست كاترينا، حالاً يكون جاهز.

قالها رجل قصير القامة أصلع الرأس ذو كرشٍ ضخم نسبياً .. كان ذلك عم حسين.

قال يوسف في نفسه : شاي و سايبر ! في عمارة .

نظر حوله و فهم و تدارك الموقف جيداً، كانت البناية من احدي البنايات القديمة من الأربعينيات و ربما قبل ذلك، كانت بناية من التي تحتوي علي محلات و أروقة بداخلها بدلاً من الجراجات، و كانت تحتضن أروقتُها فرعاً من فروع أحد البنوك الشهيرة، كانت البناية حية بالبشر و المحلات و الأنشطة و الوجوه و الأفراح و الأحزان، كأنها عربةٌ في أحد القطارات ، أو أحد شوارع وسط البلد، كأنها حياة بالكامل و لها قوانينها الخاصة و حدودها و معاييرها، كأنها كوكبٌ مصغر علي كوكب الأرض، له شعبه الخاص، في مواجهة السايبر يقبعُ دُكّان عم حسين، هو بالأحري نصف دُكّان من تلك الدكاكين التي تبيع نفس المنتجات، بسكويت و شيبس و مياة غازية و مياه معدنية و سجائر و ولآعات و غيرها من السلع الموّحدة

مُتراصة في عناية بألوان تسرُّ الناظرين، و كأن تلك الدكاكين خرجت من مصنع واحد، إتَّجه يوسف ناحية السايبر و قبل أن يدلف إليه ألقي التحيه علي عم حسين الذي كان واقفاً خارج دكّانه ينظر في شرودٍ الي اللاشيء فلم يرد التحية، بداخل السيبر كانت تجلس الست كاترينا ممسكةً بقدحٍ من الشاي الساخن و تستمع الي صوت الست، الست الأخري طبعاً ..أم كُلثوم.

- إتفضل إتفضل

قالتها بنفس اللكنة إياها.

- ممكن أحجز تلات ساعات ؟
- طبعاً ..اختار جهاز و إتفضل..

قالتها باسمةً، كانت ملامحها دافئة هادئة تمنحُك تلك الراحة و الطمأنينة.. نظر يوسف إلي ساعته فوجدها ماتزالُ العاشرة، ما يزال أمامه ما يقرب من خمس ساعاتٍ كاملة حتي تخرج مي من المدرسة، فتح الحاسوب الذي أمامه و أخذ يتصفح الانترنت و يضغط هنا و يكتب هناك و الوقت يمرُّ عليه بطيئاً للغاية، و الست مازالت تغني و تبكي علي الأطلال، و الست كاترينا لم تنته من قدح الشاي بعد ..

سمع صوت تحريك مقعد خارج السيبر، نظر الي مصدر الصوت فوجده عم حسين يحرك مقعداً ليجلس أمام دكّانه،ثم رفع يديه الي الأعلي ناظراً الي السماء..

- يارب..يارب تكمل علي خير عشان أرتاح بقي ..

تنبهت الست كاترينا لدعائه فأخفضت صوت مذياعِها قائلةً :

- لسة برضه يا عم حسين ؟
- لسة والله ..كل يوم يقولوا بكرة بكرة، أديني مستني يكلمني النهاردة يمكن تكون طلعت..يارب..
- معلش هانت، ربنا يطمنك يا عم حسين

نظر يوسف إليها في عدم فهم إمتزج بالفُضولِ فإبتسمت له بصوتٍ أقرب الي الهمس :

- أصل عم حسين مستني نتيجة إبنه اللي في الدبلوم ..ربنا يطمنه

هزَّ يوسف رأسه متفهماً ثم عاد الي تصفح الانترنت من جديد، مرَّت ساعة و نصف قبل أن يرنَّ ذلك الهاتف ليقتل الصمت القائم في المكان كان هاتف الست كاترينا المحمول، إرتدت نظاراتها الطبية في هدوءٍ ناظرةً إليه ثم نفخت في ضيقٍ و ردّت :

- آلو.. هِكتور، أنا بخير، آه هو أيضاً بخير و أنت كيف حالك؟،

obeikandi.com

و كيف حال سيمون ؟، بلّغها تحياتي ، أمازلت مصمماً علي فتح ذلك الموضوع ! ..قلت لك لا أريد القدوم !أعرف أنه يريد السفر، و لكنك تعرف الظروف أيضاً، صدقني حال البلد ليس بمثل هذا السوء، لا تصدق كل ما يقال في وسائل الإعلام، لقد سئمتُ من التحدث في نفس الموضوع مراراً و تكراراً، و أرجوك، كف عن التلاعب بعقل الولد، كلما تحدث إليك إزداد إصراراً علي السفر.. حسناً يا هِيكتور ..حسناً ..مع السلامة .

قالتها و ألقت بهاتفها المحمول في عصبية علي المكتب، كان يوسف يسترق السمع و لكنه لم يفهم كلمةً واحدةً ،لأنها كانت تتحدث باليونانية الخالصة.

بعد مرور ثلاث ساعاتٍ أشارت الست كاترينا إلي يوسف بإنتهاءِ وقته فنهض من مِقعده و دفع ما عليه، إبتسم لها شاكراً و غادر المكان.

حينما غادر البِناية و خرج إلي الشارع كانت الشمس قد إنتصرت في معركتها ضد السحب، و وجدت مكاناً لها كي ترسل أشعتها الذهبية لسكّان الأرض، وبالأخصِ إليه..كأنَّها تصالحه علي فترة غيابها في الصباح و ما حلَّ به في تلك الفترة، نظر إلي ساعته، وجدها الواحدة و الربع ، عليه أن ينتظر ربع ساعة حتي تخرج مي من مدرستها، أخذ يتمشي حتي وصل إلي المدرسة .

obeikandl.com

إتّجه الي المتحف المواجه للمدرسة، وإستند الي أحد أسواره عاقداً ساعديه منتظراً في ملل.

- إنت بتعمل إيه هنا !

أتاه ذلك الصوت من خلفهِ بنبرةٍ حادةٍ، إستدار ليجد ضابط شرطة يرتدي نظارة شمسية لتُكسبَ مظهره بعض الجدية و يمسك بيده إحدي أجهزة اللاسلكي، تصدُر منه بعض الأصوات المشوشة و الغير مفهومة

كررَّ الضابط سؤاله مرةً ثانيةً :

- إنت بتعمل إيه هنا !
- أنا ..أنا مستني حد بس ..

قالها يوسف في إرتباك و قد إعتدل في وقفته

- طيب قدامك ٥ دقايق و تمشي من هنا، مش ناقصين قلق و حياة والدك !
- حاضر، ٥ دقايق و همشي

بعد قليل ظهرت مي خارجةً من المدرسة و لكنَّها لم تنتبه لوجوده فهي تعرف أنه رآها و رحل في الصباح مثل كل مرة، كانت تقف مع زميلاتها أمام سور المدرسة، حينما نبهتها إحدي صديقاتها أنه يشير إليها واقفاً أمام المتحف، نقلت بصرَها إليه فاندهشت ثم استأذنت زميلاتها متجهة

obeikandl.com

إليه وجدته يشير إليها بالإنتظار في مكانها متجهاً إليها تظهر علي ملامحه علامات الضيق و التبرُّم.

- أولاً، لماذا جئت من جديد بعد أن عُدت إلي البيت؟ ثانياً ماذا بك ؟
- أولا، أنا لم أعد الي البيت، ثانياً أنا أشعر بالضيق لأنك سببتِ لي مشكلة !
- أنا !
- نعم، جاء إليّ شرطيٌ منذ قليل، سين و جيم، لأنني أقف أمام المتحف ! كاد أن يقبض عليّ..
- و ما ذنبي !
- ذنبك أنكِ ترفضين مقابلتي بعيداً عن المدرسة ..!
- الصبر يا يوسف..الصبر ! لقد قلت أنك لم تعُد..أين ذهبت اذاً ؟
- تمشيت حتي وجدت أحد مقاهي الانترنت، في البناية التي بها البنك..
- أنت مجنون !
- مجنونٌ بكِ، لم أستطع أن أمضي دون أن أراكِ ثانيةً..
- و ها قد رأيتني، إذهب لتسترح..أرجوك.

obeikandl.com

- بهذه السرعة !؟
- أنت تعرف، لقد تأخرت، ولا أريد إفتعال المشاكل مع أبي.
- حسناً.
- إتصل بي حينما تصل.
- سوف أفعل..وداعاً.
- وداعاً حبيبي.

سلمت عليه مي و تركته مبتعدةً و هو يراقبها حتي إختفت في أحدي الشوارع، فمضي هو الآخر متجهاً إلي بيته .

****

بعد مرور يومين ..في السابعة صباحاً ..كان يوسف يقف من جديد أمام المتحف منتظراً قدوم مي، ولكنها تأخرت عن المعتاد، مرّت الدقائق ثقيلةً عليه و هو ينتظر، يقطع المسافة أمام المتحف جيئةً و ذهاباً ..يركُل الحَصَي أو يقوم بمتابعة السيارات المارة، حاول الإتصال بها و لكنها لم ترُد، نظر في ساعته في قلق ..كانت الثامنة إلا خمس دقائق..لم يتبق علي ميعاد الدخول الي مدرستها إلا القليل، أخرج هاتفه ليتصل بها من جديد علَّ و عسي، و حينها ظهرت قادمة من بعيد تهرول متجهةً إليه، تنقل بصرها بينه و بين المدرسة في إرتباك.

obeikandl.com

- آسفة..تأخرت، سوف أخبرك لاحقاً، لابد أن أذهب، تعرف أنني قد تأخرت علي ميعاد المدرسة.

أطرق برأسه قائلاً :

- حسناً يا مي..
- أرجوك..لا تغضب..سوف أعوّضها لك، ولا تنتظر مثل المرة السابقة، عُد إلي البيت الآن !!
- طيب طيب ..
- سلام
- سلام

تابعها بعينيه حتي دلفت الي المدرسة ثُمَّ نفخ في ضيق، لم يعرف هل يعود إلي البيت أم يفعل مثل المرة السابقة، ظل يتمشي هائماً علي وجهه في الشوارع المحيطة بالمدرسة دون أية وجهة معينة في رأسه، لم ينتبه إلا حينما وجد نفسه أمام تلك البناية مرة أخري، و بعد تفكيرٍ عميقٍ قرر أن يكرر التجربة مرة أخري، دلف الي تلك البناية في هدوءٍ متجهاً إلي السيبر كما فعل من قبل، ولكنه توقف في نصف المسافة، حينما وجد السيبر مغلقاً.. نظر إلي الناحية المقابلة فوجد دكّان عم حسين أيضاً مغلقاً، تلفت حوله فوجد جميع المحلات مغلقة ..لابد أنه جاء مبكراً ..و ..

obeikandl.com

- لسة ما حدش جه يا باشا..!

أتاه ذلك الصوت من خلفه، بلهجة صعيدية أصيلة إستدار إلي مصدر الصوت فوجده ((عسكري)) شرطة أسمر البشرة ، هزيل البِنية، ضئيل الحجم، يرتدي ذلك الزي العسكري التقليدي، كان رثاً للغاية واسعاً عليه ، حتي تظن أنه يختفي بداخله لا يرتديه ، إتَّجه إليه يوسف قائلاً :

- شكراً بس هُمَّا بيفتحوا إمتي ؟ الست كاترينا بتفتح إمتي ؟
- ساعتك كام

قالها و هو يفرك يديه ليكتسب بعض الدفء..

- الساعة تمانية و نص
- بتاع نص ساعة و ييجوا إن شاء الله، إسم الكريم إيه ؟
- يوسف و إنت؟
- بدر يا باشا
- عاشت الأسامي يا بدر ، و بلاش باشا دي، إحنا حتي من سن بعض
- تسلم يا باشا

قالها بنفس اللهجة الصعيدية مبتسماً في أدب ثُمَّ أخرج من جيب قميصه

obeikandl.com

علبة سجائر محلية مهترئةً هزها في بطء فقفزت من فتحتها سيجارة إلتقطها و نظرإلي داخل العلبة بعين مفتوحة و عين مغلقة ثم كوّر العلبة في قبضته و ألقاها بعيداً في ضيق، إبتسم يوسف ثم أخرج من جيب بنطاله علبة سجائر مستوردة فتحها و إلتقط منها سيجارتين قدمهما له، نظر بدر اليه فاغراً فاه غير مصدق

- ألف شكر يا باشا، ربنا يخليك.

و إرتسمت علي وجههِ البهجة و كأنّه قد فاز للتو بمليون دولار ..

إلتقط السيجارتين في عناية و قرّبهما من أنفه يشتمهما في سرورٍ قائلاً :

- و كان أمريكاني ، تسلم يا باشا
- ما قلنا بلاش باشا دي يا سيدي
- حاضر يا باشا

ضحك يوسف لما قاله ثُمَّ إستطرد قائلاً :

- و إنت واقف هنا بتعمل إيه يا بدر ؟

ردَّ عليه بدر و هو مازال ينظر إلي السيجارتين في تبجيل :

- مع قوات تأمين البنك يا باشا..بستلم ورديتي من ٦ الصبح ل ٦ بالليل

- ياه ، ١٢ ساعة و في البرد ده ؟
- برد، حر، إن شاالله القيامة تقوم حتي، مكتوب علينا التذنيبة دي زي ما إنت شايف

((التذنيبة دي))

تكرر وقع صدي تلك الكلمات في عقل يوسف فأشاح بوجهه متذكراً ما تعنيه له تلك الجملة جيداً، إبتسم ساخراً من نفسه ثم إستطرد قائلاً :

- ربنا يعينك يا بدر، معلش محدش مرتاح
- الحمد لله بس حضرتك ما قلتليش، بتشتغل إيه ؟
- لا أنا لسة بدرس، كلية تجارة
- ممم..ربنا يوفقك يا باشا، أهو عم حسين جه أهو، صباح الخير يا عم حسين

أتاه صوت عم حسين من خلفه :

- صباح الخير يا بدر

إنحني يوسف هامساً الي بدر :

- هو عم حسين بيعمل شاي ؟

أجابه بدر بنفس النبرة الهامسة

obeikandi.com

- شاي و قهوة و ((ناسكافيه)) كان لو عايز !

أجابه يوسف مُتصنعاً الجدية محاكياً لهجة بدر الصعيدية :

- لا مالوش لزمة ال ((ناسكافيه))

ثم إستدار و هو يحاول أن يكتم ضحكة كادت أن تخرج منه، إتجه الي دكّان عم حسين و أخذ يتفحص محتوياته في هدوءٍ

- السلام عليكم ..صباح الخير يا عم حسين
- و عليكم السلام ..صباح النور
- ممكن باكو بسكوت و كوباية شاي بس خفيفة الله يكرمك.
- عينيا يا باشا
- تسلم، هي الست كاترينا هاتطول ؟
- لا، زمانها جاية، عقبال ما تشرب الشاي تكون جت إن شاء الله
- طيب تمام
- إنت مستعجل محتاج النت في حاجة ؟
- لا أبداً، أنا بس مستني حد كدة و عايز أضيع الوقت عقبال ما ييجي.
- طيب يا سيدي أديك بتضيعه معانا ولا إحنا مش قد المقام ؟

obeikandi.com

قالها بإبتسامة بشوشة للغاية كشفت عن أسنانه الصفراء و تلك السوسة في نابه الأيمن ..

- لا طبعاً ده أنا يزيدني الشرف..

أخرج عم حسين مقعداً قابلاً للطي من دكّانه، فرده ثم حمله تجاه يوسف مشيراً إليه بالجلوس

- اتفضل يابني و ادي الشاي، ألف هنا

تناول يوسف الشاي و جلس علي المقعد حينما رآي الست كاترينا قادمةً من بعيدٍ متأنقةً كما رآها منذ يومين بذلك الشعر الفضي المُرتّب بعناية فنهض لتحيتها مبتسماً :

- صباح الخير
- صباح النور..إزّيك يا عم حسين..إزّيك يا بدر

ردَّ الإثنين في نفس واحد :

- الحمد لله ..إزّيك يا ست كاترينا
- كله تمام

ثُمَّ نقلت بصرها إلي يوسف قائلةً :

- إنت مستني هنا بقالك كتير ؟

obeikandl.com

- يعني، ساعة إلا شوية، بس لقيت الناس الطيبين دول
- عم حسين و بدر دول زي عيلتي، مفيش أجدع ولا أطيب منهم

ردَّ عليها عم حسين :

- والله إنتِ إللي ما فيه زيك يا ست كاترينا

ثُمَّ قاطعه بدر مشيراً إلي يوسف قائلاً :

- و الراجل ده باين عليه طيب و إبن ناس هو كمان.

إبتسم يوسف و إتّجه ليساعد الست كاترينا في فتح باب محلها ثُمَّ إنتظر بالخارج حتي أضاءت أنوار المحل ثم أشارت له بالدخول.

مرّت ساعتين و يوسف يجلس أمام الحاسب يتصفح الانترنت و الست كاترينا تستمع إلي السيدة فيروز، حينما دلف الي المكان شاب يبدو في العشرين من عمره له نفس عينين و ملامح الست كاترينا، سحب مقعداً و جلس بجانبها، و همَّ أن يفتح فمَه ليتكلم فقاطعته الست كاترين :

- أليكس..إذا جئت لتحدثني في نفس الموضوع فخير لك ألاَّ تتكلم، و إرحل في صمت !
- يا أمي ، أنا لا أريد أن أعيش هنا ..أنا حر !
- و أنا أيضاً حرة ! ثُمَّ أنَّ أختك لا تريد أن تسافر أيضاً !

- إذا وافقتِ علي السفر ستوافق هي أيضاَ !
- أنا لن أفرض عليها شيئاَ
- و لكنكِ تفرضين عليّ أشياءاً ! رائع !
- عشت هنا و سأموت هنا ..
- و ماذا يعجبك هنا !
- و أنت ماذا يعجبك هناك !
- أوقف...أمي، إسمعي..لن أفرض عليك شيئاً، إبقِ هنا كما تشائين أنتِ و أختي، و لكن دعيني أسافر !
- و من أين آتِ لك بالمال ؟
- إعرضي المحل للبيع ..
- و أضحي بريعه ؟ و من أين آتِ بالمال لأعيش أنا و أختك ؟
- عن أي ريع تتكلمين ..! أنت تنفقين علي المحل أكثر مما تربحين منه ! ثُمَّ إنَّ لديكِ معاش أبي !
- حتي إذا بعته، ماذا أفعل كل يوم في حياتي ؟ أقبع أمام التلفاز ليل نهار ؟
- إذن، لنسافر سوياً، و هناك ستجدين أقرباءنا و ستصنعين صداقات جديدة، و ربما تفتحين هناك مشروعاً آخر !

obeikandl.com

- أليكس..لن أسافر..!
- لماذا تتمسكين بهذا المحل بهذا الشكل ! لماذا ! إنه خردة !
- أليكس..إخرس !
- هكذا ؟
- نعم، و أرجوك كُفَّ عن التحدث معي في ذلك الموضوع ثانياً.! قلت لك لن أسافر !
- كم أكرهكِ ! ..ستندمين يا أماه ..ستندمين !

قالها و نهض من مقعده في قوة و غادر المكان مسرعاً ..

دار الحديث بينهما باليونانية فلم يستطع يوسف أن يفهم كلمةً واحدةً ..

و لكنه فهم أن الأمر خطير للغاية حينما وجد الست كاترينا تبكي بشكل هستيري.

فنهض و أعطي لها منديلاً لتجفف دموعها و جلس بجانبها.

- أنا لا أريد ان أتدخل فيما لا يعنيني، ولكنكِ مثل أمي، و من الصعب عليّ أن أراكِ تبكين بهذا الشكل..إنتظري.

خرج من المكان و عاد حاملاً كوباً من الماء أعطاه لها

- تفضلي، و من فضلك إهدئي.

obeikandl.com

- شكراً لك.

لاحظ يوسف أنها بدأت تهدأ فقرّر أن يسألها :

- إذا لم يخُنّي ذكائي فذلك كان إبنكِ ..صحيح ؟
- للأسف.

قالتها و عادت إلي البكاء مرةً ثانيةً

- ما حدث مع أخي ..من قبل، يحدث مع إبني مرةً أخري

قالتها بصوت متحشرج وسط أنفاسها المُتقطعة.

إستطردت قائلة :

- منذ ما يقرب من خمسين سنة، جئنا من اليونان، أنا و أبي و أخي، كانت أمي قد توفيت و لم يعُد أبي يرغب في أن يعيش هناك مع ذكريات تقتله يوماً بعد يوم، باع كل ما لديه هناك و قرّر أن يفتتح متجراً لبيع الأقمشة هنا، بعد عدة سنوات تزوجت من شاب مصري لنتوج قصة حبنا بهذا الزواج، كان عمري وقتها خمسة و عشرون عامًا، لم تكتمل فرحتي، توفي والدي بعد زواجي بشهر، و كأن الحياة تعاقبني علي الفرحة التي أهدتني إياها ..

و بعد أسبوعين فقط، قرّر أخي أن يسافر عائداً الي اليونان، و طلب مني أن أترك زوجي و أعود معه، و لكنّني رفضت، ليس فقط حباً

في زوجي، بل لأن هناك حياة كانت قد بدأت تنمو في أحشائي، و لم أشأ أن يولد الطفل فلا يجد أبيه حوله، حدثت بيني و بين أخي الكثير من المشادات، تماماً كما تحدث الآن مع إبني، و بعد كثير من الصراخ و الألم و تبادل الاتهامات، إتفقنا أن نُقسّم التركة، يأخذ هو منزلنا ليبيعه و يسافر، و كان من نصيبي أنا متجر الأقمشة، التي كانت قد بارت سلعه، ولكنّني لم أيأس، إستطعت أنا و زوجي أن نُجدِّد المكان و بدأنا مشروعاً جديداً، متجر لبيع الساعات و التحف، كانت الحياه تسير بشكل جيد..وظيفته الحكومية بجانب ريع المتجر، و جاء المولود إلي الحياة..في الواقع كانوا إثنين، رزقني الله بتوأم.. أليكس و تاليا، و شعرتُ أنني أعيش الجنة التي طالما حلمت بها، وأن الحياة قد بدأت أخيراً في مُصالحتي، لكنَّ الحياة لم تكفّ عن معاقبتي، حينما رحل زوجي هو الآخر عن عالمنا .. رحل و تركني لا أعرف ماذا أفعل و كيف أتصرف، وهو مازاد الحِمل ثقلاً عليَّ ...خاصةً مع أطفالي الرضع، بعد فترة بدأت خسائر المحل في الزيادة، و تراكمت الديون ..فقررت بيع البضاعة الباقية و تسديد ما عليَّ من ديون ..و أغلقت المحل، عرض علي الكثيرون شراءه و لكنني لم أرغب أن أبيع الشيء الوحيد الباقي من أبي، ظل ذلك المحل مغلقاً حتي العام السابق، لم أكن أفعل شيئاً في حياتي غير مشاهدة التلفاز و الجلوس في شرفة بيتي أشاهد العابرين في صمت، قرّرت أن أكسر ذلك الملل، و افتتحت مشروعاً جديداً..هو الذي تراه الآن، و الآن يعيد التاريخ نفسه من جديد، و يريد إبني أن يبيع المحل و يسافر إلي

اليونان بثمنه ، و لكنه لا يفهم قيمة هذا المحل عندي ..

كانت تنظر إلي كل ركن من أركان المحل بنظرات تمتزج بين الشوق و الخوف و الألم .. تتغير ملامحها ما بين الفرحة و الحزن كلما نقلت بصرها من ركن إلي ركن و كأنها تشاهد الذكريات أمامها حيةً من جديد، شعر يوسف أنها ليست بخير فربتَ علي يديها قائلاً :

- ما رأيك بإغلاق المحل لبقية اليوم ..و تذهبين الي البيت لترتاحي قليلاً.

هزت رأسها موافقة، فنهض من جلسته و ساعدها علي النهوض.

- اجلسي بالخارج و سأقوم انا بكل شيء
- شكراً لك يا يوسف..ياليت إبني كان مثلك ..
- بل هو أفضل مني و لكنّكِ تعرفين أنَّ لكلٍ منا رغباته الخاصة

أجلسها بالخارج علي أحد مقاعد عم حسين وسط العديد من ال ((معلش)) من عم حسين و بدر ..و كثير من المواساة التي لن تنفعها بشيء .. أطفأ يوسف كل الأنوار و أغلق المحل و أعطي المفتاح للست كاترينا ..ثم نفّض يديه قائلاً :

- كله تمام ..
- متشكرة يا يوسف، سوف أذهب الي البيت

obeikandl.com

- انتظري، سوف أرافقك ..
- لا داعي لذلك .
- مستحيل، أنت تعبة و يجب أن أتأكد من ايصالك للبيت في سلام
- واجب برضه.

قالها عم حسين ناقلاً بصره بين الجميع

- بتفهم في الأصول يا سي يوسف

قالها بدر و هو يعدل من وضع بنطاله الذي كاد أن يسقط مؤكداً علي كلام عم حسين ..

- سلام يا جماعة ..هيا بنا يا ست كاترينا ..

قالها يوسف مساعداً الست كاترينا علي النهوض ثم غادرا البناية سوياً

*****

لم يكن منزل الست كاترينا بعيدا، فوصلا سريعاً، ساعدها يوسف علي النزول من سيارة الأجرة و دفع جنيهان و نصف للسائق الذي كاد أن يبصق عليه و لكنه انطلق بالسيارة ناظراً له في اشمئزاز، رفع يوسف عينيه الي بناية الست كاترينا ،كانت بناية أثرية قديمة، تشعر أمامها أنك تشهد الحرب العالمية الأولي .. هي جزء من التاريخ ..لا تختلف عن تلك

obeikandl.com

البنايات القديمة في روما أو باريس..بتلك الأُطُر و النقوش المميزة لكل بنايات أوائل القرن العشرين، صعدا سوياً إلي الدور الأول (علوي) حيث كانت تسكن الست كاترينا.

كانت شقة صغيرة ..هي أيضاً جزءٌ من التاريخ ..بتلك النقوش التي تملأ سقوفها، و ذلك المذياع البُني القديم ذو العجلتين الذي تراه فقط في أفلام عبد الحليم و أهل الحتة يستمعون إليه علي القهوة و هم يشعرون بالفخر بإبن حتتهم !

كانت الحوائط تمتليء بصور قديمة بالأبيض و الأسود ، صور لها هي و زوجها، وهي و أبيها،كانت من ذلك النوع من الصور رسمية ((زيادة عن اللزوم)) تلك الصور التي كان يرتدي فيها الرجال أفخم ملابسهم الرسمية ناظرين إلي عدسة الكاميرا في صرامة شديدة فخورين بذلك الشارب الكثَّ تحت أنوفهم، وترتدين فيها السيدات تلك الفساتين القصيرة عارية الكتفين مبتسمات إلي الكاميرا في ثقة و غرور و كأنهنَّ يملكنَ العالم بأكمله، مصففاتٍ شعرهنَّ في دوائر لا تنتهي.

أجلسها علي كنبة الأنتريه في بطء قائلاً :

- هل تشعرين بتحسن ؟
- نعم ..شكراً لك يا يوسف.
- لا تشكريني يا ست كاترينا،أنت بمثابة والدتي، أين تاليا إبنتك ؟

- الوقت مازال مبكراً، لابد أنها مازالت بالجامعة
- حسناً سوف أذهب الآن، و اذا إحتجتِ شيئاً ما عليكِ الا الاتصال بي، سجّلتُ رقمي علي هاتفك، ستجدينه تحت إسم (يوسف غريب) ..وداعاً..
- وداعاً يا يوسف..

****

نزل الدّرج مسرعاً و هو ينظر إلي ساعته ..كانت الواحدة و النصف.. يعرف أنه تأخّر علي مي ، لابد أنها ستخرج الآن من المدرسة في أيةِ لحظة

أخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله و إتّصل بها :

- آلو
- آلو..حبيبتي ..آسف..تأخرتُ عليكِ، و لم أستطع القدوم إليكِ اليوم.
- لا عليك ..قلت لك لا تأتي، لماذا تصمم علي القدوم ؟
- ألا تشتاقين إليَّ؟
- بلي، و لكنك تراني مرة في الصباح، فلِما تنتظرني كل هذا الوقت لتراني ثانيةً
- مرة واحدة لا تكفي ..أودُّ أن أراكِ في اللحظة آلاف المرات.

obeikandl.com

- أتحبني لهذه الدرجة ؟
- هل عندكِ شكٌ ؟
- محظوظةٌ أنا بك .
- بل أنا .
- لا..أنا .
- مي !
- يوسف !

ثُمَّ لم تتمالك مي نفسها فضحكت تلك الضحكة التي جعلت قلب يوسف يرقص علي أنغام التانجو من جديد، و يتلون في عينيه العالم بألوان لم يعهدها من قبل.

- سأراكِ الأسبوع المقبل ؟
- أمام المتحف
- أُحبك..
- و أنا أعشقك ..
- حتي النهاية ؟
- و ما بعد النهاية ..

obeikandl.com

بعد ثلاثةِ أيام ..كان يوسف يقف من جديد أمام المتحف في السابعة صباحاً، مرّت عشر دقائق كاملة قبل أن يرن هاتفه المحمول :

- آلو
- آلو..يوسف، يجب أن تغادر المكان ..حالاً

قالتها بصوت خائف متحشرج

- لماذا ؟ ما بكِ؟
- إنه أبي..سوف يأتي معي اليوم ليدفع نفقات المدرسة، أرجوك إذهب.
- حسناً حسناً ..سأغادر الآن .
- شكراً حبيبي..سلام
- سلام

يالخيبة الأمل التي يشعر بها ..!

ينتظر تلك اللحظة منذ ثلاثة أيامٍ كاملة ..و الآن لن يستطيع رؤيتها لليوم الرابع علي التوالي .

غادر المكان مسرعاً حتي لا يتسبّب في أي أذيً لها، و لكن خانته قدماه.

الشوق يقتله لرؤيتها، تسمّر في مكانه ..ثُمَّ قرَّر أن يراقبها من بعيد، عله

obeikandi.com

يطفيءُ ذلك الشوق المُتقِدُ في أعماقه مؤقتاً .. مّرت عدة دقائق حتي ظهرت قادمة و بجانبها ظهر والدها، كان رجلاً ضخمًاً، أصلع الرأس، ترتسم علي ملامحِهِ الجدّية، تابعهما بعينيه حتي دلفا إلي باب تلك المدرسة، نفخ في ضيق ثُمَّ قرّر أن يتجه الي البناية إياها، يعرف أنه أتي مبكراً مثل المرة السابقة، و لكنه سينتظر حتي تأتي الست كاترينا و عم حسين، و يمر الوقت معهما كالعادة .. دلف إلي البناية باتجاه السيبر و دكّان عم حسين فوجدهما مغلقين كما توقع مسبقاً، وقع بصره علي بدر في آخر الرواق.

كان يجلس علي الأرض مستنداً إلي الحائط، يدفن رأسه بين ركبتيه محتضناً قدميه بذراعيه، إقترب منه في هدوءٍ ..

- بدر...إنتَ نايم ؟ بدر ..

لم يرد بدر، و لكنه أخرج رأسه المدفون من بين ركبتيه في بطء.. كان وجهة محمراً بشدة، تتساقط من عينيه الدموع بلا رحمة !

- يا ساتر ..مالك بس !

قالها يوسف في جزع ثم جثا علي ركبتيه بجانب بدر..

- أمي يا باشا ..أمي تعبانة قوي، و كلموني من ساعة قالوا لي إنها بتخلّص خلاص و عايزه تشوفك.

- يا سيدي ربنا يطول في عمرها، طيب ما تروح تشوفها ؟

- مش راضيين يدوني أجازة، قلت لسالم باشا من شوية ما رضيش..إتحايلت عليه و وطيت علي جزمته أبوسها، برضه مارضيش، قاللي الأيام دي فيه لبش كتير و البلد محتاجة كل فرد أمن عشان نأمن الأماكن المهمة.
- طب و بعدين يا بدر..هاتعمل ايه ؟
- أنا هستني جلال بيه، هو بييجي عالمغرب و هقول له، لو مارضيش ..يبقي ساعتها ما قداميش غير حل واحد.

قالها و هو يمسح دموعه بظهر كفه ناظراً في تحدٍ الي اللاشيء.

- إوعي يا بدر ! هايمسكوك و تتحاكم محاكمة عسكرية و هاتتبهدل
- إن شاالله أروح في ستين داهية ..بس أشوف أمي، لو ماتت قبل ما أشوفها هولّع في روحي، و الله أولع في روحي.

قالها و أجهش في البكاء و دفن رأسه ثانياً بين ركبتيه، ربتّ يوسف علي كتفه قائلاً :

- إهدا بس و هانشوف حل ..ربنا كريم.

<< بدر ! ..انت يا زفت ياللي اسمك بدر ! >>

جاء الصوت من خارج البناية فنهض بدر مذعوراً و هو يعدّل قبعته فوق رأسه و يمسح دموعه المنهمرة بأكام قميصه المتسخ ..

- إيوة يا باشا ..جاي أهو ..

نهض يوسف من جلسته و نفّض عن ركبتيه الغبار حينما سمع صوت وقع خطوات آتية من خلفه..فإستدار ليجده عم حسين

- صباح الخير يا يوسف
- صباح النور يا عم حسين
- ماله بدر ؟

اقترب يوسف من عم حسين هامساً :

- أمه الظاهر في أيامها الأخيرة و كلموه عشان عايزة تشوفه ..إنت فاهم بقي، و المصيبة انهم هنا مش راضيين يدوله أجازة يروح لها.
- لا حول ولا قوة الا بالله ..عالم مُفترية !
- أهو بيحاول معاهم، بس شكله لو معرفش هايهرب و يروح يشوفها
- يا نهار إسود ..دول كانوا ينفخوه !
- بالظبط ..عقّله و النبي يا عم حسين
- أما يرجع بس ..و أنا ليا معاه كلام تاني

أطلق تنهيدة حارة ثُمَّ إستطرد قائلاً :

obeikandl.com

- فعلاً محدش مرتاح في الدنيا دي ..كل واحد عايش في حكاية مغلباه، و مخلياه يلف حوالين نفسه زي المساطيل، أصل الناس في الدنيا دي مقسومة إتنين ..ناس بتتسطل من الشرب، و ناس بتتسطل من الغلب ..
- ياه ..ده إنتَ شايل قوي يا عم حسين
- و مين فينا مش شايل يابني، المهم مين إللي يفضل مكمّل ما يقعش بالحمل إللي شايله.
- و إنتَ ايه حملك يا عم حسين ؟
- هقول لك ..أفتح بس الدكّان عشان أكل عيشي و نشربوا كبايتين شاي في الخمسينة ..و ما تخافش.. علي حسابي ..

قالها بضحكة مُرة ثُمَّ إستدار ليفتح دكّانه، بعد دقائق كان الإثنان يجلسان و يحتسيان الشاي و بدأ عم حسين في قص حكايته علي يوسف :

- أبويا كان راجل علي قد حاله، موظف في الشهر العقاري، مات و سابنا ما حيلتناش اللضا ! أنا و أمي و إخواتي، تلات بنات، كنت انا إتخرجت من الكلية ..حاولت اشتغل بشهادتي معرفتش، و فضلت أشتغل أي حاجة عشان أصرف علي أمي و إخواتي، ما إنت عارف المعاش ملاليم، لا بيحوق ولا بيلوق بعد كام سنة، ربنا كرمني و فتحت الكشك ده و جوزت منه إخواتي التلاتة ..كلها جوازات علي قد الحال، بس أهُم إتستّروا

obeikandi.com

و خلاص، و ربنا هداني و إتجوزت بعد ما جوزتهم، و خلّفت بنتين و ولد، وكنا عايشين كلنا في بيت واحد..أنا و أمي و العيال، كله كان ماشي عال العال ..بس الدنيا ما بتسيبش حد في حاله.

مطَّ شفتيه في ضيق ثُمَّ أكمل :

- أمي جالها فشل كلوي و بقت محتاجة تغسل يومين في الإسبوع والبنات كبرت و عايزة تتجوز، و الواد لسة في المدرسة و محتاج مصاريف، بس ربنا ما بينساش حد، رزقني بعدها بشغلانة كدة بعد الضهر ..أهي بتسند .

قالها بالعاً ريقه في صعوبة..ثُمِّ إستطرد قائلاً :

- جوّزت البنتين، و بعالج أمي، و مفاضلش غير الواد، و السنة دي بقي في الدبلوم ..مستنيه ياخد الشهادة و أطلعه من المدرسة يشتغل بقي و يسندني ..و أسيب بقي الشغلانة التانية إللي قاطمة ضهري دي .

قالها مشدداً علي آخر جملة في مرارة .

- ربنا يكرمك يا عم حسين و يرزقك
- يارب..و إنتَ ملكش حكاية إنتَ كمان ؟ الدنيا مش بتسطِلك ؟ ولا إنتَ من إللي بيتسطلوا من الشرب ؟

obeikandl.com

قالها و إنفجرا الإثنان ضاحكين.

- اللهم إجعله خير .
- صحيح ..الست كاترينا إتأخرت ليه ؟
- أهي زمانها جاية
- هي كويسة ؟ أنا كنت سايبها تعبانة آخر مرّة
- لا كويسة الحمد لله، ما تقلقش..هو إبنها ده كدة، دايماً مغلّبها، ربنا يهديه
- يارب.

بعد قليل وصلت الست كاترينا بأناقتها المعتادة و شعرها المُرتّب بعناية شديدة و تلك الابتسامة التي تبعثُ علي الاطمئنان و السكينة.

نهض يوسف من مقعده مبتسماً لها :

- ست كاترينا ..
- كيف حالكم ؟
- بخير و حضرتك
- تمام .

بعد مرور ربع الساعة كان يوسف يجلس علي نفس الحاسوب الذي

obeikandl.com

إعتاد أن يجلس إليه في كل مرة ..

و بدأت تلعب أنغام التانجو ..و لكن ليس في قلبه هذه المرة.

كان الصوت يأتي من حاسوب الست كاترينا .

إستدار يوسف متعجباً،ناظراً إلي الست كاترينا.

- هذه أول مرة أراكِ فيها تستمعين ذلك النوع من الموسيقي
- آه ..تقصد التانجو، لذلك قصة ..
- ما هي ؟
- كان زوجي يعشق التانجو..و كان يستمع دائماً إليه و تمني أن يتعلم كيف يرقص علي أنغامه، دائماً ما كان يشتري إسطوانات أستور بياتسولا، كان ذلك الرجل يلعب الأكورديون ببراعةٍ شديدة، تمني زوجي دائماً أن يذهب إلي باريس لكي يحضر حفلاً له هناك ..أنت تعرف أن التانجو ظهر في الأرجنتين، و لكن باريس كانت أول الدول التي إنتشر بها جنون التانجو و من ثَمَّ إنتقلت كالعدوي إلي لندن و برلين و غيرها من عواصم العالم.

أغلقت عينيها مبتسمة في شغف مُكملة :

- دائماً ما كان يحلم بأننا نرقص التانجو سوياً تحت برج ايفل علي أنغام ذلك الأكورديون الفرنسي ..

obeikandl.com

أطلقت تنهيدةً حارة ثُمَّ فتحت عينيها ببطء و كأنها تأبي الخروج من ذلك الحلم ..

- عزيز ..كم أشتاق إليه ..طال الفراق و لم أعد أحتمل.

إبتسم لها يوسف قائلاً :

- حتماً نفتقد ذلك النوع من الحُب في هذا الزمان ..
- و لكنك تحب !

قالتها بابتسامة ماكرة ..

نهض يوسف آخذاً مقعده معه، و وضعه في مقابل مكتبها و جلس يسألها مستغرباً :

- نعم و لكن كيف عرفتِ؟
- العاشق تفضحه عيناه

إبتسم يوسف و أغلق عينيه في خجل..

إستطردت قائلةً :

- أهي جميلة ؟
- هي فينوس
- أهي رقيقة ؟

obeikandi.com

- مثل فراشة.
- أهي بريئة ؟
- كطفل رضيع.
- أهي من تقف ببابي الآن ؟

قالتها مبتسمة و هي تنظر خلف يوسف، إستدار يوسف في سرعةٍ و وقع بصره علي مي التي كانت تقف مستندةً الي الباب عاقدةً ساعديها تنظر له في إعجاب يختلجه الخجل .

- منذ متي و أنتِ هنا ؟

قالها يوسف في مزيج من الدهشة و الخجل، فردَت عليه رافعة حاجبها الأيسر في تحفز :

- منذ أن كنت فينوس
- يا إلهي !

قالها و خبّأ عينيه بيده في خجل، ثُمَّ إستدار ليواجه الست كاترين ناظراً لها نظرة ذات مغزي .

- هي إمرأة و أنا إمرأة ..و تحب النساء أن يساعدن بعضهن ..أنت تعرف ذلك، قالتها الست كاترين في براءةٍ مطلقة .

obeikandl.com

إبتسمت لها مي شاكرةً ثُمَّ صاحت في يوسف :

- هيا بنا ! ليس لدينا الكثير من الوقت !
- هيا بنا إلي أين ؟
- ((زوُغت)) من المدرسة و أمامنا ساعتين حتي ميعاد الخروج ! هذه هي المفاجأة التي كنت أخبرك عنها منذ مدة ..هيا !

نهض يوسف في سرعه و كاد أن يغادر و لكنه تذكر أنه لم يدفع ما عليه للست كاترينا فوضع يده في جيبه في إرتباك و لكن الست كاترينا إبتسمت له قائلة :

- بعدين ..بعدين ! ..هيا أسرع !

حيّاها ثم غادر السبير الي الخارج ..واضعاً يده في يد مي حتي تشابكت أصابعهما في جزل لطيف، غادرا البناية وأنغام التانجو تتبعهما في شغف و فضول..تريد أن تراقص قلبي تلكُما العاشقين ..تتسلل إلي مسامعهما فيذوبان عشقاً في روحيهما، و كأنَّ تلك الموسيقي تحولت لحظتها إلي كيوبيد إخترق سهمه قلبيهما بكل رقة .

*****

لم يكن للإثنين وجهةً معينة، كانا يسيران و حسب في الشوارع ..كانت خطواتهما أقرب للطيران، كمن يمشي علي سحاب، إنطلقا في شوارع

الأسكندرية، يحفران ذكرياتهما في كل مكان، و يتركان شيئاً يشهد علي حكايتهما في كل شبرٍ من شوارعها ..أمام تلك الفاترينة تبادلا كلمة أحبك و فوق ذلك الرصيف ألقي هو مُزحة ضحكت هي عليها، و في ظل تلك الشجرة أمالت رأسها علي كتفه، و عند تلك النافورة طبع قبلةً علي يديها أما تلك السيارة فقد نالت نصيبها منهما بقلبٍ مرسوم بأصابعهما علي زجاجها الخلفي، و بداخله الأحرف الأولي من إسميهما باللغة الانجليزية و كان لبحر الإسكندرية النصيب الأكبر من إرثهما، فما يمكن أن يكون شاهداً أجمل أو أروع علي حكايتهما غيره ..؟

فكم بيوتٍ من رمالٍ بناها العاشقون علي شواطئه، و كم من قلوبٍ رسُمت علي رماله، كم من أحضانٍ دافئةٍ باركتها سماؤه و أثنت عليها، و كم من أقدامٍ حافيةٍ داعبتها أمواجه الحانية المرة تلو المرة، و كأنَّ كل تلك الأشياء فُطر عليها العاشقون في كل العالم، كلما كانوا علي شاطيء أحد البحار أو المحيطات فعلوها دون معرفة مسبقة أو تلقينٍ من أحد، و هكذا كان حال تلكُما العاشقين الصغيرين، و هكذا أمضيا من عمرهما ساعتين في الجنة..

*****

إشتدت العواصف في آخر يوم من أيام يناير، و كأنها تُنذر بيومٍ عصيبٍ ينتظر الجميع، و لم يعلم أحد ما يخبئه القدر في جعبته يومها،في تمام السابعة صباحاً كان يوسف ينتظر كعادته أمام المتحف..لا يهتم بتلك

العواصف..تحمله النشوة إلي عالم آخر غير عالمنا، كان يفكر في ذلك الحلم الوردي الذي عاشه منذ يومين، حينما كان في الجنة، كل ما يعرفه عن الحب كان مجرد خيالات، و لكن منذ يومين، يومين فقط، إلتحق بمدرسة الحب و تخرج منها بدرجة إمتياز، يشعر أنَّ عطرها مازال عالقاً بكل خلية منه، وأن أطراف أناملها مازالت تلامسه في رقة، مازال يتحسس دفء أحضانها في صدره، مازال يسمع همساتها تداعب أُذنيه ويري عينيها تغازل عينيه، كلماتها لازالت تلعب علي أوتار قلبه أعذب الألحان، أخرجه رنين هاتفه المحمول من كل تلك المشاعر التي إجتاحته..

كانت هي ...رد مسرعاً :

- آلو..
- آلو ..يوسف..أنا...

قالتها بصوت متحشرج و كأنَّ الكلمات تأبي أن تخرج من فمها

- مي ..خير ؟
- لن أستطيع القدوم اليوم ..
- هل تشعرين بتعب ؟ ألم نتحدث منذ ساعة و كنتِ علي ما يرام ؟
- ليس الأمر كذلك، سأشرح لك لاحقاً، سأتصل بك بعد قليل

openkandil.com

يوسف..أحبك...

و((كليك)) أنهت المكالمة ..

جنَّ جنون يوسف كليا، إتصل بها فلم ترد ..مرة بعد مرة ، و بعد عشرات المرات، وجد الهاتف مغلقاً، لا يدري ماذا يفعل، هو لا يعرف حتي أياً من صديقاتها، هل يذهب إلي بيتها ..لا، سوف يسبب لها أذيً أكبر.. قالت إنها ستتصل بعد قليل..إذن ليهدأ و ينتظر، مرّت الدقائق ثقيلة علي نفسه، و إشتدت تلك العواصف عليه، فقرر أن يذهب إلي البناية كما كان من المقرر أن يفعل في الأساس، إتّجه الي البناية و أسواط الألم و الشك تجلد قلبه، وصل إلي البناية و كان علي وشك الدخول حينما تناهت الي مسامعه وقع أقدام كثيرة و ضوضاء و أصوات كثير من الأشخاص بالداخل..لقد جاء مبكراً ..مبكراً حتي عن العادة، فما كل تلك الأصوات؟ حينما دلف الي البناية وقع بصره علي ذلك المشهد الذي لن ينساه ما أبداً ما حيا، كانت الدماء تغطي المساحة ما بين السيبر و دكان عم حسين، و حول بركة الدم تلك تجمهر عدد من الأشخاص، شرطيون و جنود و عدد من المخبرين، و بعض من يرتدون الملابس الرسمية، و في آخر الرواق كانت تجلس الست كاترينا علي مقعد ترتسم علي ملامحها علامات الخوف و الذهول، يقف بجانبها عم حسين ينظر إلي بركة الدم ضارباً كفاً بكفٍ و هو يُحوقل و يستغفر، إقترب يوسف متجهاً الي الست كاترينا و عم حسين ..و لكن أوقفه أحد الجنود :

- ممنوع يا أفندي !
- أنا قريب الست كاترينا

قالها يوسف فسمح له الجندي بالمرور ماطاً شفتيه في شفقة، إقترب يوسف من عم حسين هامساً :

- حصل إيه ؟

نظر له عم حسين دون رد، كاد أن يكرّر سؤاله مرةً ثانية حينما وجد صوتاً يقاطعه :

- لو سمحت يا أستاذ، هكلم الست كاترينا ..

استدار يوسف ليجد أحد ضباط الشرطة من خلفه

- ست كاترينا ..إعترف إبنك منذ قليل في التحقيقات الأولية بما حدث.

رفعت الست كاترينا عينيها إليه باكيةً

إستطرد الضابط قائلاً :

- إبنك جاء منذ ما يقرب من ساعتين في الخامسة فجراً لتخريب المحل، بهدف الانتقام منك كما يزعم، بدأ يحاول فتح القفل و لكن يبدو أن القفل لم يستجب لمحاولاته .

obeikandi.com

- طبعاً، فقد إستبدلته منذ يومين.

قالتها بصوت يكاد يكون مسموعاً ..

إستطرد الضابط قائلاً :

- و لم يكُفَّ إبنك عن محاولة فتح القفل، حينما رآه الشاويش النوباتجي فهرول مسرعاً للإمساك به، و بالطبع حاول إبنك الهرب فأخرج الشاويش طبنجته لتهديده و لكنه أصرَّعلي الهروب فتعثر وأمسك به الشاويش و وسط مقاومة من إبنك، ضغط علي زناد مسدس الشاويش فانطلقت رصاصة أودت بحياة ذلك المسكين في الحال، عموماً ..حاولي أن توكلي لإبنك محامياً في أقرب وقت.

ما أن انتهي الضابط مما قال حتي أجهشت الست كاترينا في البكاء، فتركها و مضي صائحاً في عدد من الجنود :

- خلصونا..خلوا المولد ده ينّفض بقي !

مرّت الدقائق و يوسف و عم حسين يقفان بجانب الست كاترينا التي لم تتوقف لحظة عن البكاء، إنتفض يوسف مفزوعاً ثم أمسك ذراع عم حسين متسائلاً :

- هو بدر فين ؟
- والله ما أعرف يابني.

- أوعي يكون !
- الله أعلم ..ربنا يستر.

قاطعهما رنين هاتف عم حسين فاستأذن مبتعداً لكي يرد..

- آلو، أيوة يا سمير ، بجد ! نجحت يا واد ! ألف حمد و شكر ليك يارب، الحلاوة ؟ لما أشوفك بس، ليك أكبر حلاوة، يلا مع السلامة يا ولا، .مبروك عليك.

عاد عم حسين و هو يحاول اخفاء الفرحة التي إرتسمت رغماً عنه علي ملامحه.

- معلش مُضطر أستأذن أنا، ورايا مشوار ضروري يا جماعة.

ثُمَّ مال هامساً ليوسف :

- سي يوسف..خلي بالك منها، و إبقي وصلها بيتها.
- حاضر يا عم حسين

غادر عم حسين البناية تاركاً وراءه يوسف في ذهوله و الست كاترين في بكائها، و بركة الدم و ما حولها من ضباط و جنود، غادر و الفرحة بدأت تحتل ملامحه في وحشية.

- الحمد لله الواد نجح و هخلص م الشغلانة النجسة دي ..! ربنا إستجاب لدعايا و تاب عليا أخيراً.

obeikandl.com

بعد ربع ساعة من السير علي الأقدام، وصل عم حسين الي وجهته أخيراً كان محلاً كبيراً تعلوه تلك اللافتة المُزينة بالمصابيح التي تضيء بألوان مختلفة و في الوسط تماماً تسكن كلمتين، ((كباريه الليالي)) .. تلفت يميناً ويساراً ثُمَّ دلف إلي المكان في سرعة، وما أن دخل حتي إتجه إلي أحد الأشخاص الواقفين.

- عصام.

كان عصام أحد الفتوات الموجودين بالمكان، كان شاباً طويلاً عريض المنكبين من ذوي الأجساد المنفوخة و الرأس الأصلع.

- خير !
- خير إن شاء الله، فين صالح بيه ؟
- جوة في أوضة المكتب.
- طيب تمام ..شكراً يا سيدي.

تركه عم حسين ليتجه الي غرفة مكتب صالح بيه ، صاحب المكان.

كان يصارع أفكاره حينما رنَّ ذلك الصوت من خلفه :

- هيهيهي..إزيك يا سحس، أمال جاي بدري النهاردة يعني، مش عادتك!

obeikandl.com

كان ذلك صوت فاتن إحدي الفتيات اللاتي تعملنَّ بالمكان، ترتدي بلوزة ضيقة تُبرز مفاتنها في وحشية صارخة و تنّورة قصيرة بالكاد تغطي عورتها، يتحرك فكها في جنون تام مُلوكاً تلك العلكة كبيرة الحجم، سألته و هي تربت علي شعرها المصبوغ بألوان رخيصة .. أجابها بإشمئزاز :

- تمام يا فاتن
- ((فاتشن)) ده ايه يا راجل، قلت لك ميت مرة اسمي فوفو!
- يا ستي ! فاتن.. فوفو، أنا خلاص هرتاح من خلقتك إنتِ و كل اللي هنا !
- جاتك نصيبة ! عكرت مزاجي الهي يعكر مزاجك عالصبح !
- غوري يا شيخة بقي !

أزاحها من طريقه متجهاً الي مكتب صالح بيه، دقَّ علي الباب مرتين ثُمَّ فتح الباب و دخل، كان ذلك ال ((صالح بيه)) رجلاً قصيراً ضئيل الحجم أصلع نسبياً، أشيب الفودين، له شارب كثّ، يرتدي بدلةً بيضاء وربطة عنقٍ حمراء.

- (سلاموا عليكوا) يا صالح بيه .
- و عليكوا ياخويا !

obeikandl.com

- كنت عايز حضرتك في حاجة كدة
- خير عالصبح !
- كل خير إن شاء الله
- أنا الواد إبني خد الدبلوم النهاردة و ..
- آه عايز حلاوته يعني ؟
- لا يا بيه تسلم ..هو خلاص هخليه يشوف أي شغلانة عشان يساعدني في مصاريف البيت و ..

قاطعه صالح و هو يداعب شاربه في جدية مصطنعة قائلاً :

- اااه، عايز تشغله معانا هنا ؟ و ماله يا سحس !إبقي هاته و نشوف له أي شغلانة.
- لا يا بيه، ده أنا جاي اقوللك هسيب المكان، تقوللي أشغل إبني هنا !
- إنتَ مِستعر من المكان إللي بيأكلك عيش يا سحس ؟ إخص !
- يا بيه مش مسألة مستعر بس، بس ضميري بيأنبني كل ماكل لقمة فلوسها من المكان ده.
- و ضميرك لسة فاكر يصحي بعد ١٠ سنين ؟

قالها و إنفجرَ ضاحكاً ثُمَّ قال له :

obeikandl.com

- خلاص روح كلم بسيوني ما إنت عارف إنه مدير الصالة وهو المسؤول عن الحاجات دي، و خد بقية فلوسك و إتكِل، بس ما ترجعش تعيط !
- متشكر يا صالح بيه

لم يرد عليه صالح و إنمَّا أشار له بيديه بالرحيل، خرج عم حسين باحثاً عن بسيوني في الصالة، تلفت بعينيه فلم يجده، فإستوقف أحد الجارسونات المارّين.

- عزت..بقول لك إيه، ما شفتش بسيوني ؟
- بسيوني تلاقيه جوه عند شاكيناز.
- ياربي!طيب متشكر يا عزت .

إتجه عم حسين إلي غرفة شاكيناز و دقّ مرّتين فأتاه ردها :

- أدخل

دلف إلي الغرفة فوجد شاكيناز تجلس علي مقعدٍ بمواجهة (التسريحة)

و بجانبها يقف رجل يلبس بنطالاً ضيقاً و قميصاً مُشجراً مفتوح الصدر، يربط شعره ((كحكة)) خلف رأسه، كان ذلك بسيوني!

- بسيوني، أنا كنت عند صالح بيه دلوقتي في مكتبه و قلت له إني هسيب الشغل و وافق وقاللي أكلمك عشان أقوللك تعمل

obeikandi.com

حسابك و تديني بقية فلوسي عشان أمشي.

- تمشي ليه يا سحس، ده إنتَ بتشتغل شغلانة بتأكلك الشهد و ما بتعملش حاجة.

قالها بسيوني بطريقة لا تتناسب مع رجولته المزعومة .

- أهو النصيب بقي يا بسيوني، خلصني عشان أمشي.
- همشيك بس علي شرط!
- شرط ! شرط إيه ؟
- هتستلم الأوردر دلوقتي بتاع بُلبل
- طب ما يستلمه بُلبل !
- ماهو ما جاش ياخويا !
- يا سيدي و أنا مالي، ما تتصرفوا، إفرض أنا ما كنتش هِنا !
- بس إنتَ هِنا.

قاطعتهما شاكيناز قائلةً :

- جري إيه يا سحس ! نمرتي كان خمس دقايق، و مش عايزة قلق الله لا يسيئك، ما تعمليش فيها شريف علي آخر نمرة، بطلوا أفورة، هي إللي جابتنا لِورا !

obeikandl.com

قالتها مُنهيةً الجملة بضحكة رقيعة عالية,

- خلاص ! ..خلصوني..
- طب روح إلبس لبس الشغل و إجهز يلا ! عقبال ما شاكي تجهز
- طيب

*****

بعد خمس دقائق فُتحت ستارة المسرح و خرج بسيوني إلي الجمهور يمسك ميكروفوناً ..خبط بإصبعه عليه عدة مرات ثُمَّ نظر إلي الجمهور.

- و الآن ..مع فنانة الإستعراض، مع نجمة الرقص الشرقي، مع جميلة الجميلات و معبودة الجماهير ، الراقصة، شاكينااااااز

إنطلق الجمهور في تصفيق حاد مصحوباً بالصفير و صيحات الإعجاب .. ثُمَّ ظهرت شاكيناز ببدلة رقص ساخنة، و بدأت في الرقص، بعد مرور دقيقتين نهض أحد الأشخاص متجهاً إليها و بدأ في إلقاء بعض العملات النقدية عليها، من فئة المئة و المئتين جنيه، ثُمَّ تبعه شخص أخر يرتدي ملابس خليجية، و أخذ يرمي عليها الدولارات من فئة المئة دولار.

كان بسيوني يقف علي جانب المسرح فأشار بيده إلي عم حسين إشارةً متفقٌ عليها، فإتّجه عم حسين ناحية شاكيناز و جثي علي ركبتيه و أخذ

obeikandl.com

في التقاط نقود النقطة، آلآف الجنيهات و الدولارات التي تنهال عليها ، تتساقط أمامها، وهو يحبو بين قدميها و يلتقطها ورقة تلو الأخرى، مرّت الدقائق ثقيلةً عليه و هو مازال جاثياً يلتقط الأموال، حتي إنتهت شاكي من رقصتها و حيّت الجمهور و غادرت المسرح في خفةٍ، نهض هو أخيراً و إتجه إلي بسيوني و أعطاه النقود التي إلتقطها و أخذ يمسح العرق الذي يتصبّب علي جبينه منتظراً نصيبه من المال، أخذ بسيوني يعد الأموال في بطءٍ شديدٍ، ثُمَّ أخرج عدِة ورقات نقدية و أعطاها لعم حسين .

- ٣٠٠ جنيه اهم..٢٥٠ كانوا ليك و ٥٠ جنيه دلوقتي، إخلع بقي..آه و ما تنساش تسلم لبس الشغل .

ثُمَّ إستدار مبتعداً و هو يعُد الأموال من جديد مُتمتماً :

- عالم فقر غاوية نكد !

بعد أن سلَّم عم حسين ملابس العمل، ألقي نظرة أخيرة علي ذلك المسرح ، و علي الصالة و ما بها من زبائن سكاري و جارسونات و فتيات ليل و فتوات، ثُمَّ إستدار ليغادر المكان، حينما رنَّ هاتفه المحمول.

- آلو
- أيوة يا حسين

- إيه يا وليّة عايزة إيه عالصبح
- أنا تعبت من ييجي ساعتين كدة، و ودّوني المستشفي
- مستشفي، يا ساتر يارب، مالك فيه إيه خير
- كل خير يا حاج، هو بس أنا..أنا عملت آشعة..و طلعت حامل ، حامل في توأم يا سي حسين.

كان وقع الكلمة عليه كالصاعقة، جعلت قلبه يتمزق بشدة ، و ذلك الألم يجتاح كتفه الأيسر، كان يشعر بدوار ثقيل و بدأت الدنيا تظلم من حوله و إختلطت عليهِ الأصوات التي يسمعها حوله.

- <<يا حاج ..رُد عليًا يا حاج >>
- <<إزازة ويسكي يابني !>>
- << أنا باخد ٣٠٠ بس عشان خاطرك هخليهم ٢٥٠ >>
- <<الحساب ٢٤٠٠ جنيه يا فندم>>
- <<عليا الطلاق إنتي عسلية ! >>

<<عسلية >>

<<عسلية >>

obeikandl.com

<<عسلية ..سودانية ..حمصية ..كل حاجة بجنيه..>>

كان ذلك نداء أحد الباعة الجائلين في إحدي عربات الدرجة الثالثة من قِطار الصعيد

- تاخد يا دفعة ؟
- متُشكر

قالها بدر بلهجةٍ متأففة، ثُمَّ نادي علي الكُمسري المار بجانبهِ

- يا أُسطي..يا أُسطي، إحنا فين دلوقتِ ؟

ردَّ عليه الكمسري ناظراً إلي خارج نافذة القطار :

- يعني بتاع ٥ دقايق و ندخل أسيوط إن شاء الله

إرتَجَ قلب بدر بين ضلوعه، لم يتبق إلا دقائق و يري والدته.

كان يعرف أنه فعل كارثة و لابد أنهم يبحثون عنه الآن ..

يعرف أنه سيري أياماً سوداء ..و لكنه لا يهتم ..هو فقط يريد أن يودّع أمه قبل أن ينتهي أجلها..

لقد طلبت أن تراه ..و لابد أن يُلبي نداءها ..مهما كانت النتائج..

بدأ القطار في التهادي، و بدأت سرعته تقل تدريجياً ..

obeikandl.com

لم ينتظر بدر حتي يتوقف القطار تماما، و لكنه قفز خارجه قبل ذلك بكثير ، و سقط أرضا متمرغاً بالتراب و أخذ جسده يتقلب عدة مرات حتي إستقر أخيراً..وسط صراخ السيدات و صياح بعض الرجال.

- << يابن المجنونة>>
- <<ياهوي>>

لم يهتم لكل ذلك بل نهض من سقطته و أخذ يعدو تجاه بيته بكل ما فيه من قوة، بعد عشر دقائق من العدوِ المتواصل، توقّف أمام بيته، إتَّجه إلي الباب و أخذ يدق عليه بقوة، مرة تلو المرة و لم يردَّ أحد، رجع خطوتين إلي الوراء و إستعد لكسر الباب و

- إستني ..محدش جوة.

إستدار ليجدُه مرزوق، صبي في العاشرة من عمره، كان يمسك بأحد فروع القصب و يمصمصُها في إستمتاع.

- أُمّال هُمّا فين يا مرزوق إنطق ..أمي فين و أختي !
- أمك تعيش إنت يا بدر، و أختك بتحضر الدفنة في التُرب.

لم يستطع بدر أن يتمالك نفسه فأمسك مرزوق من ياقة جلبابه قائلاً بعينين جاحظتين :

obeikandi.com

- إنتَ بتقول إيه !
- و المصحف زي ما بقوللك كدة هو .

لم ينتظر بدر أكثر من ذلك و أخذ يعدو من جديد بإتجاه مقابر البلدة، وصل بعد دقائق فوجد تجمهراً صغيراً علي أحد المقابر و أحدهم يقرأ جزءاً من سورة البقرة بصوتٍ رديء، ميّز كثيراً من الوجوه الواقفة هناك، وإخترق الحشد الواقف ناقلاً بصره بين الجميع حتي وقعت عيناه علي أخته، ثم أخذ في الصراخ .

- أمي ماتت يا آمنة ! ..أمي ماتت ! ..ماتت قبل ما تشوفني ولا أشوفها ! أمي ماتت ! مكانتش قادرة تستناني الكام ساعة دول !

ثُمَّ جثا علي ركبتيه أمام قبر والدته و الدموع تتساقط من عينيه .

- مستعجلة علي إيه ياما ! مستعجلة علي إيه ! أنا جيت لِك أهو،عارف إني إتأخرت، منهم لله الكفرة، سامحيني ياما

قال كلماته و هو يفرك تراب قبرها و يلطِّخ به وجهه..فأسرع البعض بإمساكهِ و أزاحوه بعيداً

- <<ما يصحش كدة يابني ..وحِّد الله >>
- << إنتَ إنسان مؤمن..و ده أجلها >>

obeikandl.com

ثُمَّ تهادي إلي مسامعه صوت سارينة إحدي سيارات الشرطة تتوقف في المكان، ثُمَّ صوت وقع بعض الأقدام خلفه فأغمض عينيه وهو يسمع آخر جملة توقّع أن يسمعها ضده كجندي شرطة :

- حُط الكلابشات في إيديه يا عسكري!!

****

- أرجوكِ إهدئي يا سيدتي، جميع أفراد الشرطة غادروا، و ولم يتبق غيرنا، ليس من الجيد أن تظلي جالسة هنا، هيا ..سأقوم بمرافقتك إلي البيت.

قالها يوسف موجهاً حديثه إلي الست كاترينا و هو يمدّ يده إليها

- لا..سوف أذهب بمفردي.
- و لكن يا سيدتي.
- سأذهب بمفردي !!

قالتها بعنادِ العجائز المعروف..

- حسناً..لما لا تتصلي بإبنتك لتأتي إليكِ؟
- هل أنت مجنون ! أتريدها أن تري كل تلك الفوضي و الهستيريا

obeikandl.com

و الدم !

قالتها بعصبية و عدائية شديد جعلت يوسف يخجل من نفسه، فهي لم تحدثه أبداً بمثل هذه الطريقة من قبل.

- آسف يا سيدتي.

لم تردَّ عليه و إنَّما نهضت مغادرة و هي تُتمتم بكلماتٍ غير مترابطة .

- لن أفتحه مطلقاً..شؤم..محل شؤم...عزيز ..مولودين يا عزيز .. باريس..لنرقص ..أنا قادمة ..أشعر بالبرد يا عزيز .. لم يتبق الكثير يا عزيز...قلت لك أنه شؤم..الدم يا عزيز ..عزيز..

تابعها يوسف بعينيه حتي إختفت مغادرةً البناية و هي مازالت تُتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، ثُمَّ ترك جسده يسقط علي ذلك المقعد غير مصدقٍ لما يري.

أخرجه رنين هاتفه من صداع أفكاره.

كان رقماً غريباً ..

- آلو
- آلو..يوسف ..
- مي ! أين أنتِ ، و ما هذا الرقم الغريب.

obeikandi.com

- أنا ..

قالتها و هي تكتم نوبة بكاءٍ جديدة ..

- ما بكِ يا مي ..!؟
- أنا علي إحدي الطائرات المتجهة الي برلين.
- ماذا ! برلين ، كيف !
- حذّرتُك كثيراً بشأن خروجنا سوياً و لكنك لم تصدقني..لقد عرف يا يوسف.
- كيف !
- أخبروه أنني غادرت المدرسة مبكراً، واجهني، و تخت الضغظ اعترفت بكل شيء،
- و لكن ..أيعاقبكِ بالسفر !
- نعم، قرّر أن يرسلني لأمكُث عند عمتي بألمانيا فترةً من الوقت.
- آه ..حتي تتمكني من نسياني.
- إذاً فأسأظل عالقةً هناك الي الأبد.

قالتها و إنهارت في البكاء

- مي..أنا ..

obeikandl.com

قالها بصوت متحشرج يغالبه البكاء

- يوسف..أرجوك، يجب أن أنهي المكالمة، هذا ليس هاتفي ..إستعرته من إحدي السيدات بالطائرة، يوسف..أحبك.. (كليك).

نظر يوسف إلي هاتفه غير مصدق أنها كانت آخر مكالمه بينه و بينها، أنه لن يسمع صوتها، لن يراها، لن يلمِسها مجدداً!

كثيرةٌ هي الأشياء التي يمكن أن تحدث في يومينِ فقط، منذُ يومين كان علي بعد خطوةٍ من الجنة، بل كان في الجنة.

و الآن، هو في قاع الجحيم، في أدني طبقات الجحيم!

نهض من مقعده بعينينِ ذاهلتينِ تغرقهما الدموع، سار ببطءٍ مغادراً البناية، تاركاً وراءه بقايا الدم المتناثر علي الأرض، تتراقص حوله ذكريات و أشباح ذلك المكان ..

عم حسين و الست كاترينا و بدر، و حتي مي، كانت هي الأخري حبيسة ذكريات ذلك المكان.

غادر تاركاً صفير الرياح يعوي في ذلك الرِواق .

و كأنه ينتحب تارة علي من إنتثرت دماؤه أرضاً ..و تارةً أخري علي من مضوا تاركين هذا المكان كئيباً موحشاً ..

obeikandl.com

بعد خمسِ سنوات، في أولي نهارات يناير الشتوية، أمام ذلك المتحف... كان يقف شابٌ في العشرينيات من عمره بصحبة فتاة تبدو في مرحلة المراهقة ..

- لقد تأخر الوقت يا ياسين، يجب أن أمضي.
- حسناً..سأشتاقُ إليكِ.
- و أنا أيضاً، لا تنتظرني !
- سأُحاول، أُحبك.
- أُحبك ، ألقاك لاحقاً.

ثُمَّ تابعها بعينيه حتي إختفت داخل تلك المدرسة، و مضي إلي وجهته ..

إلي تلك البناية، دلفَ إليها و إتّجه إلي ذلك الرِواق بالتحديد، وقع بصره علي ذلك العسكري ضئيل البنية، حيّاه بعينيه ثُمَّ إتّجه إلي السيبر، و قبل أن يدخل ألقي التحية علي ذلك الفتي الذي يحمل ملامح عم حسين ، دلفَ إلي السيبر و نظر إلي تلك الفتاه الجالسة علي المكتب تحتسي قدحاً من الشاي، ثُمَّ إبتسم لها قائلاً :

- كيف حالك يا تاليا ؟
- تمام، و أنت ؟
- بخير، ثلاثِ ساعاتٍ مثل كل مرة

obeikandl.com

ردت عليه بابتسامةٍ، ثم قامت بالنقر علي فأرة الحاسوب و أمالت ظهرها للخلف، حينما بدأت الموسيقي في اللعب..موسيقي التانجو، و بدأت تتردد أصداؤها في ذلك المكان، منتشرةً في كل أنحاء الرِواق، معلنةً عن بدء حكايات جديدةٍ..من حكايات ينار ..

obeikandl.com

obeikandl.com

رسائل إلي الجنة

توقفت سيارة أجرة أمام احدي البنايات القديمة التي تقع في أحد الأحياء الراقية بالقاهرة و ترجَّلت منها فتاةٌ في منتصف العشرينيات، صغيرة البنية، ذات بشرةٍ خمريةٍ، ترتدي معطفاً شتوياً أسود اللون، تكاد تختفي فيه، و دلفت الي البناية و تبعها سائق السيارة حاملاً في يديه حقيبتيّ سفر متوسطتيّ الحجم.

قابلها البواب بوجه بشوش :

- يا مرحب يا ست مريم.. منورة..إن شاء الله تنبسطي معانا في العمارة.

ردَّت عليهِ مريم بإبتسامة خفيفة و هي تُحاسب السائق :

- ربنا يخليك يا عم مرزوق..العمارة منورة بناسها، خد الشنط من السواق و طلّعها فوق لو سمحت.
- عينيا يا ست هانم.

obeikandl.com

كانت شقتها في الدور الثالث و كانت البناية بأكملها تتكون من خمسة أدوار، وصلت إلي الباب فأخرج البواب المفاتيح من جيبه و أعطاها لها فتحت الباب و دلفت الي الشقة و أشارت الي البواب بوضع الحقائب قائلة :

- متشكرة قوي يا عم مرزوق

ثُمَّ أخرجت بعض الجُنيهات من حقيبتها و أعطتها له ..

فابتسم قائلاً :

- ربنا يخليكِ يا ست هانم، أي خدمة تانية ؟
- آه ياريت، بص خد الورقة دي، كاتبة لك شوية حاجات تجيبهالي م السوبر ماركت عشان إنتَ عارف التلاجة فاضية و مش نازلة تاني النهاردة و آدي الفلوس أهي..و خلي الباقي عشانك.
- حاضر يا ست هانم..بس مش هوصيكِ، الشقة كلها تحت أمرك، إلا الأوضة اللي عالمنور، سيبيها مقفولة، إنتِ عارفة الحاج صلاح منبهني عالكلام ده !
- ماشي يا عم مرزوق، ماتخافش، بس أنا برضه معرفتش إيه السبب!

رد عم مرزوق مُبتسماً :

obeikandl.com

- ياااه دي حكاية ولا في الأفلام يا ست هانم، إنتِ بس إستريحي النهاردة و بكرة إن شاء الله أحكيهالك، والشقة مش محتاجة توضيب، الحاج صلاح خلّي الشغّالة اللي عنده توضبها و بقت فُل الفُل.
- آه مانا كنت لسة هسألك الشقة نضيفة إزاي كدة.
- ماشي يا ست هانم..هروح أنا أجيب لِك الحاجة إن شاء الله ، نورتينا.
- تسلم يا عم مرزوق..مع السلامة .
- سلام يا ست هانم.

أغلقت الباب وراءه و إستندت عليه و نظرت الي السقف ثُمَّ نفخت في إرتياح ناظرةً حولها و قالت في نفسها :

- أخيراً لقيت شقة و هستريح .

رنَّ هاتفها فأخرجته من حقيبتها و ردَّت :

- آلو؟ أيوة يا نادين
- وصلتِ ؟
- آه من زمان يا بنتي و في الشقة دلوقتي و الحمد لله صاحب العمارة خلي الشغّالة اللي عنده توضبها، يعني أنا ماورابيش أي

obeikandl.com

حاجة أعملها، ما تيجي ؟ إنتِ مش عارفة العنوان ! تعالي و نطلب أكل و نقعد حبة .

- ماشي، هلبس و أجيلك، مش عايزة حاجة و أنا جاية ؟
- لا يا حبيبتي، بس بسرعه، عشان أنا هموت من الجوع.
- حاضر، يلا سلام.

دخلت مريم غرفتها و أخذت تُفرغ حقائبها في دولاب الملابس بغرفتها و ما أن قاربت علي الانتهاء حتي رنَّ جرس الباب..فقالت بصوت مسموع :

- ده أكيد عم مرزوق!

خرجت لتفتح الباب فوجدتها صديقتها نادين ..سلمت عليها و قالت بإستغراب:

- ده انا بحسبك عم مرزوق، ده إنتِ جيتِ بسرعه قوي!
- عم مرزوق مين ؟
- البواب، بعتّه يجيب لي شوية حاجات و ماجاش من ساعِتها وعامل فيها مطيع و طيب و يا ست هانم و نورتينا.

ردت نادين ضاحكة :

- إنتِ لسة شفتِ حاجة، كلهم كدة يا بنتي , بصي انا جبت أكل معايا، من مطعم حلو قوي كان علي سكتي.

oberkandl.com

- طيب تمام، عشان أنا مش هقدر أجوع أكتر من كدة.

جلستا الاثنتان لتأكلا ثُمَّ بدأت نادين في الحديث :

- بس إنتِ ازاي لقيتِ شقة كويسة كدة في حتة حلوة و بالإيجار الحنين ده يا مريم ؟

ردت مريم عليا و هي تلوك الطعام في نهم :

- هفهّمك، أصل بابا ليه واحد صاحبه سمسار عقارات، وصّاه ، فقال له عالشقة دي و كام شقة تانية، و السمسار كان وصّي صاحب العمارة، و صاحب العمارة كان عايز يخلص بأي شكل..أصل الست اللي كانت في الشقة دي ماتت من أسبوع

توقفت نادين عن مضغ الأكل و نظرت الي مريم في رعب قائلة :

- ماتت !

ضحكت مريم قائلة :

- ما تخافيش يا جبانة، ماتت في المستشفي، تعبت من إسبوع

، و نقلوها عالمستشفي أول إمبارح، و ماتت النهاردة الصبح الله يرحمها، المشكلة ان صاحب العمارة وصل بيه الطمع إنه عرض الشقة للإيجار أول ما الست تعبت، إنتِ مُتخيلة ؟

ردّت نادين و هي تتناول قطعة من المخلل :

obeikandl.com

- الناس بقت وحشة قوي يا مريم، طب و إنتِ قاعدة لحد إمتي ولا راجعه الإمارات تاني؟
- المفروض هشوف شغل ربنا يسهل، بس لو الدنيا اتصعبت هضطر أرجع تاني.
- طب و مارحتيش تقعدي مع مامتك ليه؟
- و أقعد بقي مع جوز أمي ؟ الله الغني، ده بيحسسني إني بشحت منّه..مع إنّه قاعد في شقة ماما.
- ممم لا خليكِ هنا أحسن..طيب و الشقة دي كام أوضة ؟
- اتنين، بس فيه واحدة منهم مقفولة، و صاحب العمارة منبه عليا ما أفتحهاش أبداً، و قُصاد كدة منزّل من الإيجار.

ردّت نادين في إستغراب :

- إشمعني يعني ؟ يكونش مخبي فيها مخدرات !
- و النبي إنتِ خيالك واسع قوي، مخدرات إيه يا عبيطة إنتِ.!

قاطعتها نادين قائلة :

- ولا يمكن فيها عفاريت !
- منك لله ..مش هعرف أنام الليلة دي !

obeikandl.com

ردّت نادين بضحكة خبيثة :

- العفريت هايطلع لك بالليل يقول لك عووو!
- بس بقي يا بايخة، الله أنا بخاف، و هبات لوحدي.
- طب خلاص، بس ماتيجي نشوف الأوضة فيها إيه ؟
- ماهي مقفولة يا فالحة
- تعالي بس نجرب، يمكن الباب يطلع أي كلام

نهضت مريم من جلستها قائلة لنادين :

- هاتودينا في داهية الآخر، حسبي الله
- يلا بس ما تبقيش خوّافة كدة..خليكِ مِقدَامة
- مِقدَامة ؟ جبتيها منين دي
- هي جت لوحدها
- طب يلا يا لِمضة، إفتحي الباب و ورينا شطارتك

حاولت نادين فتح الباب، فانفتح بدون أية مقاومة.

تبادلتا النظرات في إندهاشٍ ثُمَّ قالت مريم :

- الله ، أمال عمالين يقولوا ما تفتحيش الباب ما تفتحيش الأوضة، و سايبينها كدة !

obeikandl.com

ردّت نادين في حيرة :

- يمكن واثقين فيكِ.

رفعت مريم إحدي حاجبيها قائلة :

- أو إختبار!ما بلاش يا نادين،إقفلي و نطلع.
- بطلي جُبن بقي، وولعي النور خلينا نشوف إيه الحكاية، يمكن نلاقي قتيل.

ردّت مريم في ذعرٍ و هي تبلغ ريقها في صعوبة :

- قتيل !! يا نهار إسود
- آه، و عايزين يلبسوكِ في جريمة القتل.
- قتل ! يا نادين بس بقي أنا جتتي مش خالصة ..هموت م الرعب.

ضَحكت نادين حتي أدمعت عيناها و قالت :

- ده أنا اللي هموت م الضحك..ولعي النور

ضغطت مريم علي زِر الإضاءة، كانت إضاءة خافتة، و الغرفة لم تحتوِ علي الكثير من الأثاث، كانت غرفة مكتب، علي اليمين توجد مكتبة كبيرة بها الكثير من الكتب و المراجع، و علي اليسار نافذة مطلة علي المنور، وفي الوسط يقبع مكتب خشبي كبير، يعود الي السبعينيات و عليه أباجورة

obeikandl.com

قديمة و كومة كبيرة مُتراصة من الأوراق المرتبة بعناية.

قالت نادين:

- أيوة و بعدين ؟ إيه المشكلة في الأوضة بقي،لا فيه قتيل ولا عفريت ولا مخدرات يعني

لم تردّ مريم بل إتجهت إلي المكتب و كأنّها مخدرة أو منومة مغناطيسياً إلي حيث ترقد الأوراق و كأن الأوراق تُناديها، جلست علي كرسي المكتب..و أضاءت مصباح الأباجورة و ذهبت بيدها الي كومة الأوراق و أخذت أول ورقة و راحت تقرأ بصوت هاديء:

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة – الأحد- السابع من ديسمبر 1969، هذه أول رسائلي اليك ..منذ غيابك عني، أعرف أنّك لم ترحلُ عن عالمنا ..و لم تفارقُه..أعرف أنّك مازلتُ موجوداً هنا بيننا، و سوف تأتي في يوم ما ،بعد أسبوع..بعد شهر..أو بعد سنوات، لن أسأم و لن أمّل الإنتظار..و لن أستسلم أبداً للحياة، و لن أُسلّم قلبي ولا جسدي لغيرك، يعتقدون أنني قد جننت، وأن لوثةً قد أطاحت بعقلي، يعتقدون أنني لم أستوعب بعد أنك قد

obeikandl.com

مِتَ، يضربون كفاً بكفٍ..و يُمصمِصون شفاههم في حسرةٍ علي حالي، و لكنني لم أُجن و لست حزينة..أنا لم أبكِ و لن أبكي عليك..لأنني أعرف أنك حيٌ تُرزق..وأنك سوف تعود..مهما تأخرت ستعود إليَّ، سوف أكتب إليك رسالةً كل أسبوع حتي تأتي..و حتي تراك عيناي ثانياً.

و حتي تكتمل قصة حبنا..أنا قيد الانتظار.

حبيبتك كاريمان

صمتت مريم للحظات و أخذت تعيد ما قرأت في سِرها في ذهولٍ، ونادين تعبث في شعرها و تنظر اليها في دهشة، ثم كسرت نادين حاجز الصمت قائلةً :

- طب إيه ؟ هاتقري الجواب كام مرة ؟

ردّت مريم في شرود :

- أنا بس مش مستوعبة، شايفة الورق ده كله ؟

أجابتها نادين في بلاهة : آه

- أهي دي كلها جوابات بتواريخ مختلفة، مبعوته كل أسبوع من سنة ٦٩ لحد يوم الحد اللي فات، يعني من يومين..إحنا في سنة٩٩، بقالها تلاتين سنة بتبعت له جوابات كل إسبوع يا نادين !

obeikandl.com

- أكيد بتهزري ! مين اللي هايفضل يحب حد كل ده، و يفتكره كان و يبعت له جواب كل أسبوع، والمفروض إنه ميت ؟

- بالظبط دي مش بتحصل حتي في الأفلام، انا عايزة أقرا كل الجوابات دي

- إنتِ عارفة جوابات تلاتين سنة يعني قد إيه يا مريم !

رفعت مريم عينيها إلي السماء و أخذت تحسب ثم أجابت :

- مممم حوالي ١٥٠٠ جواب ؟

- تقريبًا، هاتقعدي تمققي عينك في كل الجوابات دي ! كبري دماغك، تعالي نتفرج عالتليفزيون ولا نعمل أي حاجة.

- لأ، أنا هعمل فنجان قهوة و أقعد أقراهم، لازم أفهم حصل إيه و إيه حكاية الجوابات دي، و بعدين المفروض دي كانت شقة السِت، مش الراجل، الجوابات دي بتعمل هنا إيه ؟ ولا ما إتبعتتش أصلاً..ولا صاحبة الشقة مش صاحبة الجوابات، أنا لازم انادي علي....

رنَّ جرس الباب فقالت مريم :

- أهو جه مرزوق..تعالي نطلع و نقفل الأوضة و نفهم منه إيه الحكاية

خرجتا الإثنتان وأغلقتا الباب بإحكام، إتَّجهت مريم لتفتح باب المنزل

obeikandl.com

ووجدت مرزوق...

- معلش يا ست هانم إتأخرت عليكِ، بس كنت بصلي العشا، و بتعشي و جبت لك ال..

قاطعته مريم قائلةً :

- إدخل يا عم مرزوق، حط الحاجات عندك وتعالي أقعد و قوللي إيه بقي حكاية صاحبة الشقة دي ؟

لم يحتاج عم مرزوق إلي ذكاءٍ كثير لكي يفهم أنهما فتحتا الغرفة، فمُجرد لمحة خاطفة من عينيه رأي منها أنهما نسيتا إطفاء مصباح الأباجورة بالغرفة، فإبتسم إبتسامة خفيفة، و قال لمريم في إستسلام :

- طيب هحكيلك يا ست هانم..

جلسا ثلاثتُهم في الصالون و أخذ عم مرزوق يقُص عليهما الحكاية :

- الشقة دي كان ساكن فيها عيله بحالها ..الأستاذ نجيب و الست فايزة..و بنتهم، أجّروا الشقة دي في أواخر سنة ٦٩، كانوا قاعدين الأول في شقة في السيدة زينب و بنتهم كانت مخطوبة لإبن الجيران في الشقة اللي قصادهم علي طول، الباب في الباب..بس نقلوا هنا بعد ما حصل إللي حصل .

قاطعته مريم مِن جديد :

- إيه اللي حصل ؟

ردَّ عم مرزوق في انكسار :

- خطيبها ده كان إسمه شريف و كانوا بيقولوا إنه إنسان طيب قوي و جدع و إبن ناس، لما قامت الحرب راح إتطوع في الجيش، وكان بيبعت لها جوابات من عالجبهة و هي كانت بترد عليه، و بعدين اتأخر أسبوع، و التاني والتالت، و فات شهر و ماجاش منه كلام ولا حتي سلام، و الآخر جالهم الخبر المشؤوم، إنه تعيشي إنتِ، الجيش ما لقاش جثته،و أعلنوا إستشهادُه.

البنت ما إستحملتش الخبر، و أعصابها تعبت، و كانت كل شوية تروح شقة جيرانهم و تفضل قاعدة في أوضته بالساعات، ولا بتاكل و لا بتشرب، لكن ما بتعيطش، ساكتة و بس، فأهلها قرروا ينقلوا خالص من هناك، عشان يحاولوا ينسوها و يخرجوها من الذكريات اللي عايشة فيها، و جم نقلوا هنا، بس برضه البنت يا عيني فضلت علي حالها ويمكن أسوأ و قررت تِبعت له جوابات من تاني بس علي عنوان شقة أهله، وفضلت كل أسبوع تكتب له جواب و تبعتهولُه، و كل جواب كانت بتبعته كانت بتكتب منه نسخة تانية تخليها عندها.

قاطعته مريم :

- طب ليه ؟

obeikandl.com

- كانت بتقول عشان لو الجوابات الأصلية تاهِت يفضل عندها نسخة تانية توريهاله لما يرجع،كان عندها أمل عجيب إنه عايش ماتنِش، الله يرحمها، دي بقي كانت الست كاريمان.

إستطردت مريم :

- الله يرحمها، طب و أهلها ؟

- أهلها ماتوا من عشر سنين، والدها و بعدين الست والدتها، و هي كانت بتشتغل و تصرف علي نفسها، فيه كتير حاولوا يتقدموا لها بس هي رفضت من غير مناقشة .

مسحت مريم دمعات تنهال علي خديها و هي تقول :

- هو فيه كدة ؟

أجابها عم مرزوق :

- مفيش أبداً زي الست كاريمان، لا شفت ولا عمري هشوف.

- ماشي يا عم مرزوق، معلش تعبتك معايا، و ألف شُكر علي الحاجة، روح إنتَ دلوقتي و لو فيه حاجة هندهلك إن شاء الله .

- ماشي يا ست مريم ..مع السلامة..

ردّت عليه مريم و نادين في نفَس واحد :

obeikandi.com

- مع السلامة..

و غادر عم مرزوق و أغلق الباب وراءه..

و نظرت نادين إلي مريم قائلة :

- و بعدين بقي..إنتِ بتعيطي ليه يا بنتي طيب ؟
- إنتِ ما سمعتيش الحكاية، عمرك شُفتِ وفاء بالشكل ده ؟ وفاء حتي من غير أمل.
- صعب قوي لو ما كنتش سمعت بودني و شفت الجوابات بعينيا ما كنتش صدقت بصراحة.
- معتقدش فيه ناس دلوقتي بتحب كدة .
- يا بنتي مفيش حد بيحب أصلاً !..بصي إهدي كدة..و حاولي تنامي شوية، و أنا همشي دلوقتي و هبقي أكلمك بكرة ننزل شوية .بكرة هايبقي الخميس و صابح جمعه إن شاء الله هبقي فاضية ولا ورايا شغلة ولا مشغلة، ماشي ؟
- ماشي، خلي بالك من نفسك
- حاضر، و إنتِ كمان، يلا سلام
- سلام

غادرت نادين، و ظلّت مريم جالسةً في مكانها، مذهولةً و غير مستوعبة لما

obeikandl.com

قرأت و سِمعت، وظلت علي هذا الحال نصف ساعة، ثُمَّ قررت أن تصنع فنجاناً من القهوة و تستكملُ قراءة الرسائل، دلفت إلي الغرفة إيّاها و جلست علي كرسي المكتب مرة أخري و وضعت فنجان القهوة جانباً..و أخذت تقرأ الرسائل الواحدة تلو الأخري.

رسالة تلو الرسالة..و فنجان تلو الفنجان، و تمر الساعة تلو الساعة، قاربت الساعة علي الرابعه فجراً و مازالت تقرأ الرسائل..بعينين مجهدتين، و عقل شبه ميت من كثرة التعب، و لكنها صممّت علي إتمامِ قراءة الرسائل، وصلت إلي تلك الرسالة التي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأحد التاسع من يوليو 1989

مرَّعشرون عاماً منذ غيابك و مازلتُ قيد الإنتظار، لم أعد أحصي الرسائل..ولم أعد أحصي الأيام التي تمضي بدونك، في الحقيقة صار عندي السبت مثل الأربعاء و الجمعه يشبه الثلاثاء، كل الألوان هي الأبيض..أو بالأحري هي الأسود، توفي كل من حولي، و أصبحت وحيدة، وحيدة لأبشع حد، لا شئ يجعلني أطيق العيش إلا

obeikandl.com

إستعادة ذكرياتنا معًا، رغم إنها ليست بالكثيرة، ولكن يكفيني ذكري واحدة معك..تجعلني أتحملُ سنوات، أعرف أنك ستعود.. مهما طالت الأيام..أعرف أنك مازلتَ هناك..في مكان ما، و سوف تعود،و سنكون معاً إلي الأبد ، مازلت و سأظل قيد الإنتظار

حبيبتك كاريمان

كانت مريم تقرأُ و تذرف الدموع، حتي ما عادت تعرف ماذا أجهد عينيها أهو السهر أم القراءة أم البكاء، أصبحت الآن السابعة و الربع صباحاً..

ولم يبق إلا رسالة واحدة، قررت أن تستنشق القليل من الهواء، ثُمَّ تقرأها، ذهبت الي الشرفة، وقفت ناظرة الي السماء، لا يعرف الناظُر إليها هل هي حزينة أم سعيدة أم متسائلة، أغمضت عينيها، و إستعادت في عقلها الكثير ما قرأت في رسائل كاريمان، تساءلت ..كيف يكون الحب بهذا القدر و كيف يكون الوفاء بلا حدود هكذا، كيف إستطاعت تلك المرأة أن تعيش ثلاثين عاماً في إنتظار حبيبها الذي لم يأتِ و لن يأتِ، بدون أمل حقيقي، كيف ..كيف ! طاخ طاخ طاخ..

كان الصوت لإمرأة تُنفض سجادة في الشرفة المقابلة أخرجها من تفكيرها

العميق، نظرت إلي المرأة في شيء من الإحباط، ثم عادت أدراجها إلي داخل الشقة و أغلقت باب الشرفة و ستائرها.

ذهبت بخطيً ثقيلة الي غرفة المكتب، كمن هو ذاهبٌ الي غُرفةِ الإعدام

لا تعلمُ لماذا، ربما هي خائفة مما ستقرأه في تلك الرسالة، وربما هي لا تريد أن تنهي تلك الحكايات التي إستمتعت بقراءتها، و ستعود إلي ذلك العالم الموحِش المليءُ بالكراهية والحقد و الطمع و نُدرة الوفاء، أخيراً جلست الي المكتب، و أمسكت بين يديها المرتعشة بالرسالة في رقةٍ وإهتمامٍ شديدينِ و بدأت تقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأحد الثامن من أغسطس 1999

مرَّ حتي هذه اللحظة ثلاثون عاماً كاملة، كنتُ فيها قيد الإنتظار، ولكني لم أعد بعد الآن، أنا لم أسأم..و لم أمّل..و لم أستسلم، و لكنَّ روحي قد سأمت من حبسها في ذلك الجسد العجوز، حان الوقت لتنالَ حريتها، أنا الآن مستعدةٌ للرحيل، و أعتقد أنه من الأفضل لي أن أعترف برحيلك، لأُمنّي نفسي بلقائك في الناحية الأخري، ولأول مرة منذ ثلاثين عاماً أبكي، و لا أعرف أأنا أبكي

حزناً لفراقك أم فرحاً لإقتراب لقائك، و ستكون هذه أخِر رسائلي إليك، و لكني لن أرسلها، سوف تدفن معي، و تذهب معي إليك، لنقرأها سويًا، ولأعتبرنّك الآن شهيداً منذ ثلاثين سنة و لأعتبرنَّ رسائلي كلها كانت رسائلاً إلي الجنة

حبيبتك كاريمان

كانت هذه الرسالة أكثر الرسائل تأثيراً في مريم عن سابقتها، برغم قِصرِها الشديد، فما أن وصلت لنهايتها حتي أجهشت في البكاء، و لم تستطع التوقف للحظة، حتي بللت بدموعها الرسالة، ظلّت علي ذلك الحال ما يقرب من ربع الساعة، ثم بدأت تهدأ، و تتساءل بينها و بين نفسها للمرة الألف، أي حب هذا، و أي وفاء هذا، و كيف تحول أملها في لقائه في الدنيا إلي لقائه في الآخرة، كيف كانت تري تلك المرأة دائماً الخير في كل شيء حتي الموت، و كيف أحست بإقتراب موعدها معه، وكيف كانت تري الموت نعمة، لأنه يجعلها تقترب من حبيبها الأول و الأخير، في النهاية ذهبت مريم الي سريرها و تمددت و هي تحتضن تلك الرسالة الأخيرة، و أغمضت عينيها و نامت.

كانت الساعة الثانية الا الثلث حينما رنَّ جرس الباب، حاولت أن تقاوم نومها العميق و تستيقظ، رنَّ الجرس مرة و إثنتان و ثلاثة، فأفاقت ببطءٍ من نومها.

ثُمَّ ذهبت متثاقلة ناحية الباب قائلة :

- مين ؟

لم تجد رداً..أعادت الكرّة مرة أخري :

- مين ؟

همّت أن تفتح الباب و لكنها وجدت مظروفاً صغيراً تحت قدميها، إنحنت و إلتقطته، لا يوجد عليه اسم المرسل..فقط تعرف أنه مرسل من القاهرة، من يا تُري سيرسل إليها خطاب، لم يعد أحد يرسل خطابات الآن، و كيف سيرسل إليها أي شخص رسالة و قد أصبحت قاطنة في هذا العنوان بالأمس فقط، دارت هذه التساؤلات في عقلها و هي مازالت نصف نائمة ثُمَّ إلتمعت الفكرة في عقلها، فكرة صعقتها كليًا و جعلتها تهتز في عنف، سارعت إلي فتح المظروف و إلتهمت يداها الرسالة تفتحها، و كانت كما توقعت بالظبط، سقطت جالسة علي الكرسي في ذهول و أخذت تقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة – الأربعاء الحادي عشر من أغسطس 1999

لا أعرف من أين أبدأ رسالتي، و ماذا أقول اليك، أنا حقاً لم أرحل و

obeikandl.com

لم أفارق عالمكم..كما ظن الكل، حقاً كنت هنا في مكان ما، لم يكذُب إحساسكِ قَطٌ، نعم عدت إليكِ بعد كل هذه السنوات، عدت من المجهول، لا أعلم كيف إنتظرتني كل هذه المدة، كيف لم تسأمي و لم تملي و لم تستسلمي للحياة، أو تتركي قلبك أو جسدك لغيري، حقيقةً لا أعلم كيف إحتملتِ كل هذا !، ولكن لتعلمي ..لستِ وحدكِ من كنت تتعذبين طيلة هذه السنوات، علي الأقل كنت تعرفين ماذا يعذبك..و تحاولين الفرار منه، أما أنا، فكانت عذاباتي كثيرةً و لا سبيل إلي الفرار منها، حقيقة الأمر أنني طيلة الثلاثين سنةً الماضية لم أكن أعرف من أنا، صحوتُ في أحد النهارات، لأجدني في صحراءٍ لا متناهية لا أتذكر من أنا، ولا أعرف ما الذي أتي بي إلي هناك، مشيت حافي القدمين مسافات كثيرة الي أن أدمت قدماي، و سقطتُ مغشياً عليَّ، وعرفت بعد ذلك أن هناك سيارة التقطتني و وجدت نفسي في إحدي مستشفيات السويس الحكومية، حاول معي الكثير من الأطباء كي أتذكر أي شيء..و لكن بلا جدوي، و حينما شفيت من جروح جسدي، تم تسريحي من المستشفي، و وجدتُ نفسي شريداً في شوارع السويس لا أعرف من أنا، و لا بحوزتي أي شيء،

عشتُ أياماً من أحلك ما يكون، أتخذُ الأرصفة مسكناً و مبيتاً لي، أما عن الطعام فأحياناً كان المارة يتكفلون به و أحياناً أخري أضطر للبحث عنه في صناديق القمامة..و أتصارع أحياناً مع القطط علي لقمة عيش ملوثة، مرتّ السنوات تلو السنوات علي تلك الحال..و حاولت فيها البحث عن عمل، أي عمل ليكفل لي لقمة العيش، وأحياناً كنت أعمل حمّالاً..أو كنّاساً أو عاملاً في الميناء ..أو عاملاً في بناءِ العقارات، و أنام في العقار ليلاً و أستيقظ لأعمل صباحًا، و إستطعت أن أجد لي مسكنًا في النهاية في غرفة علي سطح إحدي البنايات المتهالكة في أطراف المدينة، و بدأت في تكوين صداقات مع سكان المنطقة، و برغم أنهم لا يعلمون من أنا، لكنَّهم عاملوني بلطفٍ و كرمٍ شديدين، وأحياناً كانت تواجهني بعض الأيام الصعبة مع بعض الخبثاء، و لكن كانت تنتهي علي خير، أصبحت بعد ذلك مصدر ثقة في المنطقة..و كانوا ينادونني بعم منسي، لأننا لا نعرف لي إسمًا، و بعد ثلاثين سنة جاء ذلك اليوم إستيقظتُ في الصباح علي صراخ النساء و صياح الرجال، و عرفت أن البناية التي أسكن بها تتهدم، و حاولت الفرار و لكن هيهات، فجأة بدأ كل شيء يتهدم و يتساقط من حولي ثُمَّ أظلمت الدنيا، للمرة الثانية أستيقظ في تلك المستشفي و لكن هذه المرة حينما بدأتُ في الاستفاق، بدأت

أتذكر من أن، بعض المشاهد بدأت تتتابع في ذاكرتي، الحرب دوي المدافع من حولي صوت سيور الدبابات، أزيز الطائرات، الرصاصات تنهال عليَّ من كل ناحية، ترتطم بأجساد زملائي و تختطف أرواحهم الواحد تلو الآخر، و إعتقدت أنني سأنجو الي أن اخترقت رصاصة كتفي الأيمن و أخري إخترقت قدمي اليسري، و أخري حفت برقبتي

تذكرت كيف سقطت مغشياً عليّ..ووجدت نفسي أستيقظ علي صراخ أشخاص حولي بلغة أخري، عرفت بعد ذلك إنها العبرية، كانوا يتحدثون بينهم بالعبرية، ثُمَّ يتحدثون معي بالمصرية الخالصة يحاولون إنتزاع أية معلومات مني بمختلف وسائل التعذيب، تذكرت كيف حاولت الهروب، و نجحت، و ظلت أسير في الصحراء أياماً حتي سقَطَت بمقربة مني قذيفة كادت أن تودي بحياتي..و لكنها أودت بذاكرتي..و سقطتُ مغشياً عليّ..و صحوت بعد ذلك ..فاقد الذاكرة تمامًا، و عندما استيقظت في المستشفي للمرة الثانية تذكرت كل ذلك و كيف فقدت الذاكرة ..لم أنتظر حتي تشفي جراحي.. أتيت مسرعاً الي القاهرة..لأجد أبي و أمي قد فارقا الحياه منذ زمن بعيد، ولم يتبق إلا أخي الذي تزوج و ظل بنفس المسكن..و إحتفظ لي بكل رسائلك، قرأتها كلها، و لم يغمض لي جفن حتي أنهيتها و عيناي تذرفان الدموع، و قررت أن أرد عليكِ برسالة، قبل أن آتي

obeikandi.com

اليكِ بشحمي و لحمي، ها آنذا عائدً من الموت، من المجهول، صدق إحساسك يا عزيزتي و كذبت أحاسيس كل الناس، إنتظريني، فقط ليوم آخر، لن تكوني قيد الانتظار بعده أبدًا

حبيبك شريف

obeikandl.com

إشارة مرور

كانت الساعة الثانية ظهراً من أحد أيام شهر يوليو الحارة، وكان الجو كأنه بروفة لجهنم في أحد أكبر شوارع القاهرة و أكثرها إزدحامًا، أنارت الإشارة باللون الأحمر، فتوقفت السيارات، و توقف هوَ بسيارته، تجهَّم في غضب و نظر إلي عداد الإشارة، أمامه دقيقة و نصف حتي ينتهي ذلك الكابوس كان قد عاد منذ يومينِ فقط من إحدي دول الخليج، جاء ليقضي أجازته مع أهله و أقربائه.

وجاء يبحث عنها، عن حبيبته، إنه الآن مستعد، معه المال، معه السيارة, المهر والمنزل، و لكن هل يا تري سوف يجدها.

خرج من تفكيره، فقد كان يشعر بالعطش الشديد، أخذ يبحث عن زجاجة مياة هنا أو هناك بالسيارة، لعله يجد حتي شربة ماء.

و لكن لم يفلح.

أخذ يضرب مقوّد السيارة بيديه ثُمَّ أراح جبهته عليه و نفخ في ضيق، و أغمض عينيه، ثُمَّ..

obeikandl.com

((تك تك))..

كان هناك من يطرق علي زجاج نافذة السيارة، نظر ناحية الصوت في بطء و تكاسل، كان صبي صغير يبدو في العاشرة من عمره، يلبس جلباباً تشعر عندما تراه أنه من بقايا الحرب العالمية الثانية، ووجهه مكسوٌ بلون أقرب إلي التراب، يحملُ علي كتفه الأيمن شوالاً منتفخاً من القماش، و في يده اليسري يمسك بعلبتيّ مناديل من الحجم الكبير المخصص للسيارات.

ينظر في آسي و يقول :

- مناديل يا بيه ..

نظر إليه للحظات في شرودٍ..حتي أخرجه الصبي من شروده بصياحه مرة أخري :

- يا بيه !!! مناديل يا بيه..

فإبتسم و أعطاه ثمن علبة متناولاً إيّاها، و أخذ ينظر إليها ثُمَّ وضعها بجانبه في السيارة و أمال رأسه الي الخلف، لم يشترِ من هذا الصبي لأنه كان بحاجة الي المناديل، فالسيارة بها علبتان جديدتان، و لم يشترِ منه صدقةً أو عطف عليه.

و لكن لأنَّ ذلك الصبي جعله يعود بالماضي إلي الوراء .

إلي ثلاث سنوات قبل ذلك الوقت..

obeikandl.com

نفس المكان، نفس الشارع المزدحم، و هي هي نفسها تلك ((المعصرة)) علي اليمين، كان يتذكر كيف كان يصطحب حبيبته هناك، و يحتسيان معاً الخروب المثلج، أو المانجو،حسب ماتسمح به ميزانيته.

هو نفسه ذلك المطعم الشعبي الشهير علي اليسار.

لازالَ يتذكر ما كانت تطلبه، شَطيرة بطاطس بها الكثير من المايونيز، و شَطيرة فلافل بالسلطة.

ورجع بنظره إلي ذلك الصبي، كان حينها في السابعه من عمره تقريباً.

و لكنه كان يبيع الفُل للعاشقين المارين في الشارع أو القابعين في السيارات منتظرين إخضرار إشارة المرور.

تذكر كيف كان يشتري لها عُقداً من الفُل في كل مرة يمران من ذلك الشارع الذي طالما إحتضن ذكرياتهما معاً.

ذلك الشارع الذي شهِد بداية قصة حبهما، و هو أيضاً الذي شهِد نهايتها..

كانت ذاكرته ترسم ذلك المشهد الدرامي أمامه.

ذلك المقهي القابع في أخر الشارع، كم يكرهه..

بكل طاولاته، و مقاعده، بكل بابٍ و نافذةٍ به، بكل من يعمل به..

حتي صوت ذلك التلفاز المعلّق علي الحائط مازال عالقاً بذاكرته، كم

يكرهه هو أيضاً..

أخذ يتذكر ذلك اليوم ..

إتصلت به لتخبره أن هناك موضوعاً هاماً و أنها لابد أن تراه.

كان صوتها متحشرجاً و كأنه يرفض أن يخرج من حنجرتها.

شعر بالقلق، و ذهب إلي ذلك المقهي ينتظرها.

و إنتظر، و إنتظر، و إنتظر كثيراً!

و في النهاية أتت، حاول أن يستشف من عينيها ما تريد قوله، ولكنّه فشل..

مرّت الدقائق و هما يتحدثان، ثم ساد الصمت بينهما للحظات..

نظرت في شرودٍ خارج النافذة يسارها، ثُمَّ أطرقت بعينيها، و سمع صوت بكائها في خفوت، إنتابته قشعريرة، لم يسألها، فقد كان يعرف الاجابة مُسبقاً، لم تكن هذه أول مرة، و لكن يبدو أن هذه المرة مختلفه عن المرات السابقة.

مسكت يديه في يأس،و الدموع تتساقط من عينيها كالمطر :

- لم أعد قادرةً علي صد أهلي أكثر من ذلك..لن يجبروني علي الزواج من شخص غيرك، ولكن لا أستطيع أن أجبرهم علي أن

obeikandl.com

نبقي سوياً ..

ثُمَّ ألقت بالقنبلة :

- لابد أن نفسخ خطبتنا، لقد مرّت أربع سنوات و نحنُ معا، و لكن لا تتحسن ظروفك، لا توجد لك وظيفة ثابتة، ولم نشترِ أو نؤجر منزلاً بعد، و هم يضغطون علي في كل لحظة تَمُر، و لم أعد قادرةً علي التحمل.

حانت منه إلتفاته إلي خارج النافذة ليخفي دمعه سقطت في كبرياء من عينه اليمني، ثُمَّ نظرَ اليها في صمتٍ، وخلع من يديه دبلته الفضية و فتح يدها ووضعها فيها و أغلقها عليها.

لم تتمالك نفسها و إنطلقت في بُكاء هستيري، فأمسك يديها في قوة و قام من جلسته و همس في أذنها :

- سوف أحبك الي آخر العمر..

و قبل أن يمضي أمسكت يده قائلة :

- سوف أنتظرك، لن أكون لغيرك..

تركها مغادراً المكان..و ظلت كلماتها ترن في أذنيه .

لن أكون لغيرك.

لن أكون لغيرك..

obeikandl.com

- يوسف...يوسف !!!

خرج من ذكرياته علي صوت ينادي بإسمه !

معقول ! إنه صوتها، يستطيع أن يميزه من بين مليون صوت، إنه يحفظه عن ظهر قلب، و لكن أين هي..!! أخذ يتلفت يميناً و يساراً إلي أن وجدها.

كانت في السيارة التي علي يساره، سيارة فارهة من تلك التي يتعدي سعر الواحدة منها مليون جنيه فأكثر..

كانت تجلس بجانب قائد السيارة، و أما قائد السيارةِ نفسه فكان رجل يبدو أنه في العقد الرابع من عمره،ذو شارب كث، يرتدي نظارةً شمسية عريضة، كان يبدو عليه الثراء و لكن لم يبدُ عليه الرقُي.

و صرخت ثانية :

- يوسف !! يوسف !

كانت تنظر في المرآةِ الي المقاعد الخلفية..

نظر معها يوسف إلي نفس الناحية، ووجد طفلين أحدهما في الثالثة من عمره و الآخر مازال رضيعاً..

كان يري ذلك المشهد وهو يسمع كلماتها الموجهة الي إبنها :

- يا يوسف سيب أخوك، ما صدقت نيّمته بقي !

obeikandl.com

ثُمَّ إرتدت نظارتها الشمسية، وإخضرّت الإشارة، وإنطلقت السيارة و إنطلقت باقي السيارات من خلفِها، و إنطلق نفير السيارات المنتظرة خلفهُ في غضب..

و إنهالت الشتائم عليه من كل ناحية ..

وهو مازال لا يسمع، مازال متسمراً و عينيه معلقه بتلك السيارة التي إنطلقت بعيداً..

و إحمرّت الاشارة مرةً أخري..

و ظل هو عالقاً في تلك الإشارة.

obeikandl.com

obeikandl.com

سكارلت

في أحد الأحياء الهادئة في مدينة نيويورك، مرّت سيارة سوداء في هدوءٍ حتي توقفت أمام أحد المنازل لبُرهة من الوقت، ثُمَّ ما لبثت أن دلفت إلي مرآب المنزل و إنغلق بابه وراءها ..

من وراء إحدي نوافذ البيوت المقابله كان هناك من يراقب الوضع في ترقب و فضول

كانت سيدة في متوسط العمر ذات شعر أشقرٍ و ملامح أمريكية

ثُمَّ ما لبثت أن أغلقت ستار النافذة و عادت إلي ما كانت تفعله

كانت تُزين إحدي أشجار الكريسماس و تضع بعض الزينة هنا و هناك

ثُمَّ سمعت صوت أقدامٍ أتية من غرفة النوم فصاحت :

- توم ! تعال، أريد أن أسألك شيئاً
- نعم حبيبتي، ها أنا ذا، ماذا تودين أن تسألي ؟
- ماذا تعرف عن أهل المنزل المقابل ؟ من يسكنون فيه ؟

obeikandl.com

- آه تقصدين السيد آدم، الساكن الجديد, إنه عربي.
- هل يعيش بمفرده ؟
- نعم.
- لماذا ؟ و لما لم أره أبداً ؟ ما قصته ؟

نظر توم الي الشجرة في جدّية مصطنعة ثُمَّ مدّ يده إليها معدلاً بعض كرات الزينة في بلاهة زائدة، فصاحت به المرأة :

- توم !
- ماذا يا جوليا ؟ ماذا، لماذا أنتِ مهتمة به الي هذا الحد!
- إنه الفضول فقط، أشعر أنه غريب الأطوار !!
- كل ما أعرفه عنه أنه رجل أعمال عربي، إسمه آدم، و هو غريب الأطوار بالفعل.

ثُمَّ قال لها مُكملاً بنظرة ذات مغزي :

- و لا يحب الأشخاص الفضوليين !!
- كيف هو غريب الأطوار، خبرني بالله عليك !

نظر إليها ثُمَّ إلي سقف البيت ثُمَّ قال :

- ياللنساء !

obeikandl.com

ثُمَّ أدار لها ظهره عائداً إلي الغرفة، فتركت ما بيديها من كرات و زينة و هرعت وراءه إلي الغرفة قائلةً :

- توم أرجوك..الفضول يقتلني، أرجوك أرجوك أرجوك !
- حسناً ! يكفي، يكفي! و لكن دعيني و شأني بعدها ولا تفتحي قصة ذلك الرجل ثانياً
- موافقة، هيا، ما هي قصته ؟

أطلق تنهيدةً حارة ثُمَّ جلس علي طرف السرير ثم أخذ يحكي :

- أنا لم أقابله غير مرة واحدة بالصدفة البحتة، كانت الشمس علي وشك الغروب و رأيته يتخلص من القمامة وكنت أنا أهِم بالنزول من السيارة قادماً من العمل، و قررتُ الذهاب إليه لألقي عليه التحيه و أرحب به في الحي، لم يكن كثير الكلام، عرّفته بنفسي و عرّفني بنفسه و كان يبدو مشغولاً أو أنه إدعي ذلك حتي يتخلص مني، إنه حتي كان يتحاشي النظر إليَّ، و ودّعني في أدبٍ جم و دلف إلي بيته و حينها لمحت شيئاً غريباً في الداخل قبل أن يُغلق الباب.
- ما.. ما هو ؟ جثة ؟ أحد الأعضاء البشرية ؟ قنبلة نووية ؟ !
- إهدئي يا جوليا، إن الرجل ليس بقاتل، و هل تظنين لو أنه كان سفاحاً كنت سأسكت حتي الآن عليه ؟

obeikandl.com

ردت في بلاهة :

- ربما هددك ولا تنس أنه عربي، ربما هو إرهابي خطير !

خبط رأسه بكفه قائلاً:

- يا إلهي !
- آسفة، أنا آسفة، أكمل، ماذا لاحظت في الداخل ؟
- كان المكان بأكمله بالأبيض و الأسود، نسيتُ أن أقول أنه كان أيضاً يرتدي ملابساً سوداء فقط.
- و ماذا في ذلك، ربما كانت فقط الصالة بالأبيض و الأسود، أو ربما هي فقط قلّة الإضاءة، ألم تقل أنك رأيته وقت الغروب.
- هذا ما ظننته، و قتلني الفضول فذهبت الي إحدي النوافذ و لم يخب ظني قَط، حينما إختلستُ النظر إلي الداخل، وجدت العجب العجاب !
- توم ! أنت تقتلني، ماذا وجدت !
- كان كل شيء كما أخبرتك بالأبيض و الأسود، الأرضية، الأثاث، الستائر، كنت أشعر أنني في أحد أفلام الأربعينيات، آه حتي التلفاز، لن تُصدّقي، رأيت فيلم تايتانك عليه و لكن بالأبيض و الأسود !

obeikandl.com

نظرت إليه جوليا في خيبه أمل قائلة :

- ربما كان تلفاز خرب أو به عطل ما
- هذا ما ظننته، ولكن أتظنين رجلاً يسكن في حي مثل هذا و يركب سيارة فارهة كتلك سيمتلك تلفازا معطوباً كهذا ؟ عموماً أنا لم أهدأ بعدها حتي جاء ذلك اليوم .
- أي يوم؟
- لماذا لستِ صبورة يا جوليا ؟

ردت في تَبرّم :

- آسفة ، أكمل.
- مارك أخبرني بكل شيء
- مارك مَن ؟
- مارك زاكاري..
- آه، تذكرته، ذلك السباك..
- نعم، أنت تعرفين أننا دائماً ما نستعين به
- أها
- خمّني من إستعان به أيضاً !

obeikandi.com

- هو ؟ ذلك الرجل ؟ و ماذا حدث، أخبرني!
- حينما أتي مارك من يومين ليصلح لنا صنبور المطبخ دار بيننا ذلك الحوار....

مارك : هذا المطبخ يحتاج الي تغيير شامل، لعلك تود أن تنسفه !

توم : أنا أنوي أن أقوم بذلك التغيير في المنزل ككل

رد مارك بسخرية :

- لا تخبرني أنك سوف تجعل منزلك بالأبيض و الأسود مثل ذلك المخبول
- مخبول من ؟
- ذلك العربي في البيت المقابل، ألم أخبرك من قبل ؟
- لا، ما قصته ؟
- إستعان بي منذ فترة لأصلح له بعض الأعطاب في حمامه و حينما دخلت بيته ذُهلتُ مما رأيته !
- ماذا رأيت ؟
- كان المنزل بالكامل كأنه فيلم كازابلانكا !
- أتعني أن أثاث المنزل كان قديماً ؟

obeikandi.com

- لا، أعني أن البيت بأكمله كان بالأبيض و الأسود، الأثاث حديث جداً ..و كل شيء في المنزل ينُم عن الرفاهية ..و لكن بالأبيض و الأسود،الأثاث، الستائر، الأرضيات، المطبخ، الحمّام، كل شيء فيه أبيض أو أسود فقط! و ما زادَ الموضوع غرابة ما رأيته بعد ذلك !
- ماهو ؟
- لن تُصدق أبداً !
- قل و سأحاول أن أصدق
- عنده خادم
- و ما الغريب في ذلك ؟
- ذلك ليس الجزء الغريب، الغريب أنني حينما لمحتُ الخادم يقدم له الطعام علي طاولة السفرة شكره الرجل مُتجنباً النظر إلي الطعام ..ثم أغمض عينيه و بدأ في الأكل !
- ماذا !!
- كما قلت لك، كان يأكل مغمض العينين ..
- هذا الرجل مجنون بلا شك !
- لا, لابد أنه مريضٌ نفسي !

obeikandl.com

- و لم تعرف لما يفعل هذا ؟
- لم أجرؤ علي السؤال، لربما قتلني و دفنني في قبو منزله المريب!
- أنت محق !
- و لكن الموضوع لا يحتاج إلي ذكاء كثير لكي تعرف أن هناك عداوة بين هذا الرجل و الألوان.
- كيف هذا ؟
- يعني، بيتٌ بالأبيض و الأسود بأكمله، و الشيء الملون الوحيد في البيت هو الطعام، و يبدو أنه لا يريد أن يراه !
- وجهة نظر يا مارك !
- الخلاصة أنه مخبول !
- بالتأكيد.

******

- و هكذا ..كان ذلك الحوار بيني و بين مارك
- ذلك الرجل مريب بحق ! إنه يخفي شيئاً ما حتماً !
- طبعا، ولكن أرجوكِ، ليس لنا شأن به، دعينا نهتم بشؤوننا الخاصةو بمناسبة شؤوننا الخاصة، لماذا لم تأت صديقتك حتي الآن ؟ ألم تقل أنها تريد أن تقضي اليوم بالكامل معنا، الساعة

obeikandl.com

قاربت علي الرابعة و لم تظهر حتي الآن

- لقد إتَصَلت منذ قليل و قالت إنها غادرت المطار قادمةً في سيارة أجرة، لابد إنها علي وشك الوصول، لاتقلق، و أرجوك كن لطيفاً معها.
- أنا دائماً لطيف معها،هل عندكِ شك؟

نظرت إليه جوليا في غيظٍ ثُمَّ غادرت الغرفة و عادت إلي الشجرة مرة أخري لتزيينها و كانت تنظر إلي خارج النافذة حينما رأت شيئاً إتسعت له عيناها و صاحت :

- تووووووم ! تعال بسرعه !
- جوليا ! ليس ثانية ! ماذا قلت لك ؟!
- أيها الأحمق ليس ذلك الموضوع..تعال و إنظر بسرعه !

أتي توم مسرعاً فوجد جوليا تقف أمام النافذة في إنبهارٍ و سرور

نظرت له قائلةً :

- الثلوج بدأت تتساقط، في ليلة عيد الميلاد، تخيل، أنا سعيدة يا توم، سوف يكون الكريسماس جميلاً هذه السنة
- نعم حبيبتي، إنه دائماً جميل بك .

ثُمَّ طبع قُبلةً علي جبينها في حنانٍ و ربتَ علي كتفها .

obeikandl.com

كانا يشاهدان الثلوج و هي تتساقط في سعادة و سكينة تامة

إحتضنها في رقة وأسندت هي رأسها علي كتفه في دلال.

******

في المنزل المُقابل، كان آدم يجلس في حجرة مكتبه.

كانت الحجرة مظلمة، علي الرغم من أن الوقت مازال بعد الظهيرة، إلا إنه أحكم اغلاق الستائر جيداً.

و في أحد الأركان، كان يجلس علي أحد المقاعد الوثيرة بجانب مصباح ذي إضاءة خفيفة.

تنبعث في الغرفة أنغام إحدي أغنيات فرانك سيناترا الشهيرة

((Fly Me To The Moon))

ممتزجةً بدخان ذلك السيجار في يده.

أطلق تنهيدةً ذات مغزي و أغمض عينيه منسجماً مع تلك الأغنية و ...

تررن...

دقَّ جرس الباب ليقطع عليه ذلك الهدوء و الإنسجام.

obeikandl.com

فتح عينيه في إزعاجٍ شديدٍ، ثُمَّ نادي في حدة:

- ألبرت ! ألبرت، إفتح الباب !

جاءه صوت ألبرت من بعيد :

- حاضر يا سيدي ..

ثُمَّ سمع صوت فتح الباب و صوت ألبرت و صوت آخر يرد عليه، صوت أُنثوي..

ثُمَّ تناهي إلي مسامعه صوت وقع أقدام تقترب.

- سيدي..هناك إمرأة بالخارج تريدك.

قالها ألبرت في صوت شبه هامس..

- إمرأة ؟ من ؟
- هي من جاءت من قبل مرتين، تقول إنها تريدك في شيء عاجل.
- أخبرها أنني لست هنا ..لا، أخبرها إنني مِت.
- سيدي، ما من داعي لكلِ هذا، ثُمَّ إنها لن تكفَّ عن المجيء حتي تحدثك.

ردَ آدم غاضباً :

- يا إلهي, حسناً, فليكن !

obeikandl.com

قام آدم باطفاء السيجار و نهض من مقعده، إرتدي نظارةً شمسية داكنة ثُمَّ خرج إلي السيدة.

كانت تستند إلي الباب بظهرها بطريقة مثيرة كما يفعلن نجمات السينما، مرتديةً رداءَ نومٍ قرمزيٍ قصير يكاد يخفي مفاتنها.

إعتدلت قليلاً حينما رأته قادماً و داعبت بعض خصلات شعرها الذهبي و إبتسمت قائلةً :

- أخيراً ..!

رد آدم عليها بكل برود :

- ما الأمر العاجل ؟

إرتبكت قليلاً ثُمَّ ردّت :

- أنت تعرف أن الليلة هي ليلة عيد الميلاد، وأنا وحيدة و أعرف أنك وحيد مثلي، و فكرت أن أدعوك لتناول العشاء معي الليلة، أنوي أن أقوم بطهو....

قاطعها آدم :

- شكراً...

ثُمَّ أغلق الباب في عنف و نفخ في ضيق تاركاً إياها بالخارج غير مصدقة ما حدث للتو.

obeikandl.com

ثُمَّ إستدارعائداً الي غرفة مكتبه حينما سمع ألبرت يقهقه ضاحكاً :

- لا أُصدق ما قد فعلته للتو، لابد أنها ستنتحر !
- فلتتعفن في الجحيم !
- هل تعرف أن تلك المرأة التي رفضتها منذ لحظات هي فرانشيسكا راجاتزي، واحدة من أجمل و أشهر عارضات الأزياء في العالم !
- أعرف، ولا أهتم.
- هذه ليست المرة الأولي التي أراك فيها تفعل ذلك
- و لن تكون الأخيرة .
- لمتي سوف تفعل ذلك ؟ لمتي سوف تدفع الناس بعيداً عنك؟
- ألبرت ! أنت تعرف إنني لا أريد أن أري أو أعرف أحداً، أنت تعرف القوانين جيداً، لا أصدقاء، لا حب، لا ألوان !
- أتمني أن أعرف لما تفعل ذلك

قاطعه آدم في حنق :

- ألبرت !
- حسناً سيدي، أنا آسف، ولأعتبرنَّ نفسي محظوظاً لأنني الوحيد الذي تبقيه حولك.

obeikandl.com

إبتسم آدم إبتسامة خفيفة و عاد إلي غرفته في هدوء.

******

في الرابعة و النصف عصراً توقفت سيارة أجرة أمام منزل توم و جوليا.

كانت جوليا ما تزالُ تزين الشجرة حينما رأت السيارة فهتفت :

- توم، لقد جاءت، هيا بنا نستقبلها و نحمل عنها أمتعتها

رد توم و هو ينهض من أحد المقاعد :

- حاضر، هيا بنا.

كانت صديقة جوليا قد نزلت من السيارة و وقفت بجانب شباك السائق لإعطائه الأجرة حينما رنَّ هاتفها المحمول، وحاولت الرد فأوقعت النقود علي الأرض، إرتبكت، و إحتارت ما بين الردِّ علي الهاتف و بين أن تلتقط النقود قبل أن تتطاير.

و بالفعل بدأت النقود في التطاير، فهرعت لكي تلتقطها قبل أن تبتعد حينما أتي ذلك الصوت المزعج من بعيد..

كان صوت صرير إطار سيارة يحاول سائقها التحكم بها و لكن بلا جدوي..

كانت السيارة تنطلق بسرعه مخيفة نحوها و لم يعد هناك مفر من الإصطدام

obeikandl.com

سقط من يدها الهاتف لا إرادياً و أفلتت قبضتها الأخري ما تبقي من النقود لتتطاير كلها في الهواء ..

أغمضت عينيها في خوف مستسلمة للموت مودعةً لآخر لحظات حياتها..

حينما ظهر من العدم رجلٌ يجري بسرعة خارقة متجهاً نحوها، حملها بقوة و قفز بها مترين إلي جانب الطريق، وسقط بها علي الجليد، و توقفت السيارة مصطدمةً بأسوار أحد المنازل.

حاول مُنقذ المرأة النهوض و جثا علي ركبته اليمني، أما هي فلم تتحرك , كانت راقدةً علي جانبها الأيمن، يغطي وجهها شعرها الأحمر الناري.

مدَّ يده إليها، و أزاح بعض خصلات شعرها عن وجهها فوجدها مُغمضة العينين، فوضع إصبعيه السبابة و الوسطي بطريقة محترفة علي جانب رقبتها، ثم أطلق تنهيدة إرتياح.

إستدارت لترقد علي ظهرها ثم بدأت تفتح عينيها في بطء ناظرةً إليه، فتوقف به الزمان بضع لحظات، بل بضع سنين.

و إستمر ذلك المشهد علي نغمات هاتفها الملقي بجانبها، الذي أخذ يرقص برنين أغنية

La Foule للمطربة الفرنسية **Edith Piaf**

كانت تنظر إليه في إمتنانٍ و قليل من النشوة.

obeikandi.com

تسمّر و هو ينظر إليها، كانت كأنها لوحة مرسومة في الجنة.

راقدةً علي الجليد، بذلك الشعر الأحمر الناري المتناثر حولها بغجرية تامة

و كأنها لهيب مشتعل فوق الجليد، وكأنها نار مستعرة، شمس تلتهمه بحرارتها ,راقدةً علي الجليد بتلك العيون الزرقاء كبحر عميق في أشد الأيام صيفاً.

بتلك الشفاه التي لا تختلف حمرةً و اشتعالاً عن شعرها.

ببشرتها البيضاء التي جعلت الجليد بجانبها ليلاً حالك السواد.

و ذلك الجسد كأنه تمثال تسابق ألف ألف نحات علي صنعه.

جسد جعل ذلك الفستان الذي ترتديه يتأوه من جمال مفاتنه و دقة منحنياته التي يحتضنها.

أخرجه من ذلك العالم الخيالي الذي يعيشه نداء جوليا و صرخاتها:

- سكاارلت..سكاارلت !! ..هل أنت بخير ؟!!

إذاً هي إسمها سكارلت، ياله من إسم، و ليس مجرد إسم، بل إنه الجحيم بحد ذاته متجسد في إمرأة، هي تعريف الأنوثة، و بجسدها يقبعُ قاموس كل مصطلحات الجمال!

هي فينوس، عادت الي الحياة مرة أخري، بل هي أفرودايتي..

بل هي فينوس و أفرودايتي تقولبتا معاً في وعاء واحد فأصبحتا سكارليت .

obeikandl.com

مدَّ يده إليها يساعدها علي النهوض و تلامست يداهما فشعر بألف زلزال يجتاحه في عنف، و كأنه وضع يده علي جمرة من نار.

شعر بالكهرباء تسري في جسده، بل هي بالأحري الحياة، كان قلبه ينبض من جديد.

نبضاته كاد يسمعها أهل تلك المنطقة كلها،بل نيويورك بأكملها.

نهضت أخيراً كعملاق ينهض ليحكم مملكته، نهضت بكل رقتها و غجريتها و حرارتها، و تضاءل هو أمامها، انكمش تماماً.

و مع أنه هو من مدَّ يده لمساعدتها، بدا في تلك اللحظة كطفل صغير يتعلق بيدها.

بدا مسكيناً عاجزاً قليل الحيلة أمامها، بدا منهاراً بين يديها.

سلمت عليه في رقة قائلة :

- شكراً جزيلاً، إسمي سكارلت، و أنت ؟

قالتها بفرنسية خالصة، جعلت قلبه يذوب في أعماق صدره.

هكذا إكتملت اللوحة و صارت أكثر جمالاً عن ذي قبل، إنها فرنسية ..

فتح فاهه للحظات ليجيب عليها و لكن المفاجأة أفقدته توازنه

إنتبهت هي أنها تحدثت بالفرنسية وأنه عجز عن الرد عليها فعاودت السؤال

obeikandl.com

بإنجليزية ركيكة تشوبها تلك اللكنة الفرنسية المميتة..

فإبتسم و ردَّ عليها بفرنسية خالصة :

- أنا آدم، لا تشكريني، هذا واجبي، أأنتِ بخيرٍ سيدتي ؟

إبتسمت بجانب شفتيها فظهرت تلك الغمازة تلقي عليه التحية لتقتله في رقةٍ مرة أخري.

بدأ يشك للحظات أنها أُرسلت من السماء من أجل عذابه الخاص.

كان كل ما فيها مصمم للنيل منه ..لقتله ..للخلاص منه.

أجابته بفرنسيتها العذبة :

- نعم ..أنت ملاكي الحارس، لا أعرف من أين أتيت و كيف أنقذتني.

ردَّ عليها :

- المهم أنكِ بخير.

حاول الاستفاقة مما هو فيه، ونفض عنه بعض بقايا الثلوج و ذلك الذهول الذي إستولي عليه.

إبتسم لها في أدبٍ و إستدار عائداً الي بيته .

كان طويلاً عريض المنكبين، ممشوق القوام، بدا جسده في تلك الملابس

obeikandl.com

السوداء الضيقة كأحد أبطال القصص المصورة الخارقين، زاده هيبةً شعره الفضي الممتزج ببعض السواد.

تابعته بنظراتها حتي وصل إلي باب بيته، إستدار في بطءٍ و حيّاها من بعيد بيديه و أغلق الباب في هدوء.

رفعت إحدي حاجبيها في إعجابٍ و نظرت إلي جوليا قائلةً :

- من الوسيم ؟

نظرت إليها جوليا في صدمة قائلةً :

- لا لا ..أنتِ لا تريدين أن تعرفي، تعالي ندخل البيت لتستريحي أولاً ثُمَّ سنتحدث لاحقاً في ذلك الشأن.

قاطعتها سكارلت :

- لماذا ؟ ما قصته ؟

خبط توم رأسه بيده قائلاً :

- اللعنة ..ليس ثانياً !

******

ما أن دخل الثلاثة إلي المنزل حتي أمسكت سكارلت بيد جوليا و تأبطت ذراعها ثُمَّ إستدارت لتوم قائلةً :

obeikandl.com

- عذراً ..سوف أقترضها منك قليلاً، هناك بعض الكلام النسائي الذي نريد أن نتجاذبه !

ردَّ توم في إرتياح :

- تفضلي، إقترضيها حتي آخر العمر، فأنا لا أود أن أسمع شيئاً حتي آخر اليوم عن رجل الأبيض و الأسود !

عقدت سكارت حاجبيها الجذابين في جدية و قالت :

- أبيض و أسود ؟

ضحكت جوليا قائلة:

- يالك من أحمق، هيا بنا يا سكارلت إلي الداخل، سوف أشرح لك كل شيء.

رد توم :

- بدلاً من أن تستريحي بعد الذي حدث لك منذ لحظات تودين أن تعرفي قصة ذلك الرجل! ياللنساء !! و أنت يا جوليا بدلاً من أن تطمئني علي صديقتك تساندينها في هذا الجنون !

ردت جوليا في كبرياء مصطنع :

- لا شأن لك، نحن النساء صُنعن من عجينة أخري، لا نهتم لتلك الأشياء.

obeikandi.com

- تلك الأشياء !، لقد كادت أن تكون ضيفاً جديداً في عالم الأموات و تُسمّين ذلك بتلك الأشياء !، آه فهمت ..أنتم تهتممن بالرجال و التسوق و لون طلاء الأظافر و موديل الحذاء الجديد !

لم ترد جوليا عليه ..بل رمقته بكل حنق الدنيا ثُمَّ دلفت هي و سكارلت إلي غرفة المعيشة

******

بعد أن حيّا آدم سكارلت و أغلق باب منزله، أسند جبهته إلي الباب و أغمض عينيه، ثُمَّ دقَّ بقبضته عليه في قوة.

جاء ألبرت مسرعاً علي إثر صوت الضربة ووضع يده علي كتف آدم قائلاً :

- ماذا هنالك يا سيدي ؟ هل أنت بخير ؟

لم يرُد آدم، بل إعتدل في وقفته و إستدار متجهاً إلي غرفته في سرعه و أغلق الباب خلفه، و ما أن دخل الغرفة حتي جلس علي مقعده في بطء، وأمسك رأسه بكلتا يديه، أغمض عينيه و أخذ يفكر و كأنما يكلم نفسه !

- ما الذي دهاك يا آدم ؟ و ما الذي إجتاحك للتو ؟ لماذا شُعرت بذلك الضعف أمامها؟
- تقصد سكارلت ؟

obeikandl.com

- إخرس ! لا تنطق إسمها !
- لماذا ؟ أتخشاها ؟
- أنا لا أخشي شيئاً، و لكن ..
- و لكن ماذا ؟ أتخشي الضعف بين يديها ؟
- أنا لا أخشي الضعف أمام أي أحد، أنا أمقت الضعف !
- إذاً مم تخاف ؟ أن تعود الي نقطة الصفر ؟
- صِه..أنا دفنتك منذ عشرة أعوام، و الآن تريد أن تعود حياً !
- أنا لم أمُت قط !، فقط لم أجد الفرصة المناسبة لكي أتكلم
- تقصد بسببها ؟ و لماذا هي بالذات ؟!
- إنها مختلفة !
- يا لك من أبله ! هذا ما تظنه، لا شيء مختلف، الحياة بأكملها صندوق قمامة كبير !
- و هي ليست من ذلك الصندوق، لقد أتت من السماء، من عالمٍ آخر !
- ها أنت تتكلم كالأبله ثانياً !
- ربما، و لكنني حي..

obeikandl.com

- إنتهي النقاش! يجب أن تنسي أمرها تماماً، أنت تعرف، لا أصدقاء،لا حب،لا ألوان !
- ألوان، أرأيت عينيها ؟ شعرها، أرأيت شفتيها، يا إلهي...
- ها هو الأبله قد عاد من جديد ! سوف تجعلك ليناً من الداخل، هشا، و أنت تعرف أن الهشاشة في هذة الحياة ليست بالشيء اللطيف، سوف تحولك الأيام إلي أشلاء في أول فرصة لها، فعلتها من قبل، أنا و أنت نعرف ذلك جيداً، أتحب أن أذكرك ؟
- أنت تقتُلني
- فلتتعفن في الجحيم !
- أنا من بقي منك من جزء حي، أتريد أن تتخلص مني؟!
- أتمني أن أقتلك آلاف المرات !
- لا أريد الحديث معك !
- يستحسن ! سوف أنام ..لعلي أصحو و أجدك قد صرت ميتاً !

******

كانت سكارلت قد أفرغت حقائبها حينما إنتهت جوليا من قصِ حكاية آدم عليها بالكامل

obeikandl.com

فنظرت إلي جوليا قائلة :

- ممم ..هذه هي قصته إذاً ..رجل غريب ..

قاطعتها جوليا قائلةً :

- إنه مختل !
- صِه ..ليس بمختل يا جوليا!

رفعت جوليا حاجبيها قائلةً :

- أبهذه السرعة يا سكارلت !
- ماذا ؟ سرعة ماذا !
- أحببته ..أحببتِ آدم

إرتبكت سكارلت و هي ترتب الملابس فأوقعت بعضها قائلة :

- حُب..أنتِ مخبولة، ليس حُب، و لكنه امتنان، إن الرجل قد أنقذني للتو و ..و أنت تعرفين.
- سكارلت عزيزتي..أنتِ كاذبة ..كاذبة جداً، أنا ما إن ذكرت اسمه حتي احمرّت وجنتاكِ !

نظرت لها سكارلت في حنقٍ قائلة :

- هكذا !

obeikandl.com

أخرجت جوليا لسانها واضعةً قبضتها علي وسطها قائلة :

- نعم هكذا

فأخذت سكارلت إحدي الوسائد من علي السرير و رمت بها جوليا

فصرخت جوليا ضاحكةً :

- أيها الشريرة سوف أريكِ..!

ثُمَّ رمتها هي الأخري بوسادة قائلةً :

- خذي هذه أيتُها العاشقة الولهانة

وتبادلتا الاثنتان الوسائد و الصرخات و الضحكات حتي سمعتا صوت طرقات حادة علي الباب فتوقفتا، ثُمَّ ذهبت جوليا إلي الباب و فتحته فوجدت توم

- هل جننتما ؟
- و ما شأنك أنت !
- لا أستطيع أن أنام ! أشعر أنني نائم في سيرك أو مدينة ملاهي !
- تعرف أنك هادم الملذات !

إبتسم توم ابتسامة صفراء قائلاً :

- يسعدني ذلك

obeikandl.com

- سخيف !

ردَّ توم عاقداً ساعديه :

- شكراً ..سوف أذهب للنوم !
- إنتظر، الساعة السادسة الآن، سوف نبدأ باعداد العشاء، أنسيت أن الليلة هي ليلة الميلاد !
- لم أنس،و لكن....
- لا يوجد لكن، هيا بنا ! هيا يا سكارلت ..

قاطعتها سكارلت متسائلة :

- انتظري..ألن ندعوه ؟
- من ؟ هو ؟ آدم ! هل جننتِ ! إنه غريب الأطوار !
- جوليا ! غريب الأطوار ذلك قد أنقذني من ساعة !
- حسناً حسناً ..لنقُل أننا دعوناه ..كلنا نعرف جيداً إنه لن يقبل
- سأجعله يقبل !

نظر توم لجوليا قائلاً :

- صديقتك ساذجة !

obeikandl.com

نظرت له سكارلت في تحدٍ قائلة :

- سنري !

******

من يعرف سكارلت جيداً، يعرف إنها ليست بالشخص الذي يستسلم بسهولة، أو يتخلي عما يريده،و لكن في وضع كهذا، من الصعب التنبؤ بما يمكن أن يحدث.

إقناع آدم بالقدوم و تناول العشاء مع غرباء لا يعرفهم هو كإقناع ثور هائج في حلبة المصارعة بالهدوء،ناهيك عن موضوع اللا أصحاب واللاحب واللا ألوان ذلك !

كانت سكارلت تعرف كل ذلك، و لكنها تعرف إنها مختلفة، هي تعرف أن لديها ذلك السحر الباريسي الذي لطالما دوخ الكثيرين وراءها منذ نعومة أظفارها..

هي تعرف إنها ليست بالصيد السهل، و أن الملايين يحلمون بدعوة مثل هذه، بل بدقيقة واحدة تحت قدميها.

و لكنها تعرف أن هذه المعركة مختلفة، و أنها تحارب خصماً ليس سهلاً بالمرّة.

obeikandl.com

لذلك فهي تحتاج الي أسلحة خاصة، بل أسلحة فتاكة ..

قررت أن ترتدي أكثر الملابس اغواءاً لديها، و أن تضع أشد العطور سحراً.

ذهبت إلي منزله و كلها ثقة و اطمئنان أن قلاعه لن تستطيع الصمود أمام عدتها الحربية .

وصلت و دقّت جرس الباب في رقة، لم تمر عشرثوانٍ حتي فتح ألبرت الباب و إبتسم لها في أدبٍ قائلاً :

- منزل السيد آدم، نعم يا سيدتي ؟

إبتسمت سكارلت بدورها تلك الابتسامة القاتلة قائلةً :

- أين هو ؟ أريده في أمرٍ هام
- و لكنه ...

قاطعته سكارلت بتلك النظرة المتمسكنة كقطة فقدت أمها ثم قالت له :

- أرجوك، لقد أنقذ حياتي منذ قليل و أريد أن أشكره بطريقة تليق بما فعل..
- آه ..أنقذكِ، الآن فهِمت ..
- فهِمت ماذا ؟
- لا شيء سيدتي، مم و لكنه نائم الآن..

obeikandi.com

كررت سكارلت من جديد نظرة القطة و زادت عليها بمط شفتيها بحزن مصطنع، ما جعل قلب ألبرت العجوز يهوي إلي قدميه و نظر إليها في ذهول ..ثُمَّ إستدرك نفسه و قال لها :

- حسناً حسناً، لندعوا فقط ألا يقتلني !

ضحكت سكارلت في دلال قائلة :

- لا تخف، سوف أحميك !

كان آدم علي وشك النوم حينما دق ألبرت باب غرفته، ففتح عيناً واحدة قائلاً :

- ماذا تريد يا ألبرت ..

ففتح ألبرت الباب في خوف قائلاً :

- إنها تلك المرأة !
- أهي لم تتعلم بعد ما فعلته بها .. !
- لا يا سيدي، ليست تلك الحسناء، إنها حسناء أخري ! في الحقيقة هي أكثر منها حُسناً
- ماذا ؟ أتهذي يا ألبرت
- آسف يا سيدي أنا أقصد، إنها تقول أنك أنقذتها و تريد أن

obeikandl.com

تشكرك، شيء من هذا القبيل

إنتفض آدم في سريره حينما إنتهي ألبرت من كلامه قائلاً :

- أهي بالخارج !

ردَّ ألبرت بخبث :

- نعم يا سيدي، هل أقول لها أنك نائم ؟

ردَّ عليه آدم بسرعه :

- لا، إنتظر، سوف أخبرها بنفسي، أقصد، سوف أري ماذا تريد .

ابتسم ألبرت في خبث قائلاً :

- حسناً ..لك ما تريد يا سيدي ..

ارتدي آدم ملابسه السوداء التقليدية و وضع نظارته الشمسية كالعادة، برغم أن الوقت قد صار ليلاً.

و خرج اليها، و ياليته ما خرج ..هكذا قد تمني هو ..

كانت هُناك ..تقفُ في شموخٍ ..بحرارتها بلهيبها، كانت كشمس مشتعلة، و ما زادها إشتعالاً ذلك الثوب الأحمر الذي ترتديه، هو ليس قصيراً، و لكنه يكشف عن ساقها اليسري بالكامل في تحد مثير، نزولاً الي ذلك الحذاء ذي الكعب العال، الذي زادها أنوثةً ورقة ..

obeikandl.com

و ذلك الشعر الأحمر الغجري الذي ينسدل علي كتفيها العاريتين.

و كأنها خرجت للتو من أحد إعلانات العطور و جعله ذلك يخلع نظارته الشمسية لا إرادياً.

نظرت له بعينيها الزرقاواتان اللتين لمِعتا ببريقٍ أشد من بريق ذلك العقد المتدلي علي صدرها، و كأنه يحرُس مفاتنِها.

إقترب منها في هدوءٍ كإنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، و كلما إقترب منها كلما زاد ذلك العطر الأخّاذ من جنونه.

و توقف الزمن للحظات من جديد، ظلا فيها يتأملانِ بعضهما البعض كمعشوقين إلتقيا بعد غياب طويل، و كأن تلك الأغنية التي لعبت في أول لقاء لهما ترن في أذنيه من جديد أو هكذا يخُيل له الآن.

ساد الصمت بينهما لكثير من الوقت حتي قطعته هي بتلك الابتسامة العذبة قائلةً :

- أتيت لكي أشكرك، بعد ما فعلته معي ..

رد عليها آدم خارجاً من غيبوبته:

- و لكنكِ قد شكرتني من قبل !
- أعلم و لكنني بعد التفكير وجدت أنها ليست الطريقة اللتي تليق بك و بما فعلته من أجلي، لذلك فكرت أن أدعوك للعشاء

obeikandl.com

معنا، و الليلة هي ليلة عيد الميلاد كما تعلم و ليس من الجيد أن تقضيها وحيداً.

نظر آدم اليها في مزيج من الحسرة و الحزم قائلاً :

- لا أستطيع، لست ذلك الشخص الذي يذهب للعشاء في بيت غرباء لا يعرفهم ولا يعرفونه، بالإضافة الي أشياءٍ أخري لا تعرفينها، و صدقيني لا تودين معرفتها.

رفعت سكارلت حاجبيها في مكر و دلال قائلة :

- تقصد الألوان ؟

عقد آدم حاجبيه في جدية و هنا إستدرك أنه لا يرتدي نظارته فوضعها علي عينيه في إرتباك ثم قال لها :

- من أخبركِ ؟

ردت سكارلت بثقة :

- ليس مهما، المهم أنك ستتعشي معنا ..

رد آدم عليها في جدية :

- آسف، لا أستطيع، لن أذهب إلي ذلك البيت، أو أي بيت،علي جثتي !

obeikandl.com

ردت سكارلت في في خبث كخبث الأطفال :

- حسناً ربما لا تستطيع أن تأتي و لكنني أستطيع أن آتي أنا إليك.

رفع آدم حاجبيه في ذهول من شدة الصدمة ثُمَّ قال لها :

- ماذا ؟ هل جننتِ ؟ من أين لكِ بتلك الجرأة ؟!، سيدتي، كنتُ شخصاً لطيفاً معك للغاية، و لكن صبري بدأ في النفاذ ...

ردت سكارلت في تحد مثير :

- هل تراهن ؟

- أتظنين الأمر لعبة ؟ أنا لن أخوض معك في لعبتك هذه، إنتهينا!

ضحكت سكارت تلك الضحكة المميتة قائلةً :

- سنري يا آدم ..

إنها المرة الأولي التي تنطق فيها إسمه-آدم-قالتها بطريقة لم يسمعها من قبل، جعلته يعشق إسمه و يتمني أن يسمع منها آلاف النداءات به.

إستدرك ما فعلته به ثُمَّ بلع ريقه و قال لها في جدية مصطنعة :

- أنتِ طفلة !

ردت سكارلت في براءة :

- بالضبط !

obeikandi.com

ثُمَّ مدّت يدها و خلعت نظارته الشمسية و رجعت خطوتين إلي الوراء في خفة

وضع آدم يديه علي عينيه في دهشة قائلاً:

- ماهذه الألاعيب، هاتِ النظارة !

هزت سكارلت رأسها يميناً و يساراً قائلة بكل براءة و إغراء في نفس الوقت:

- توء، ألم تقل إنني طفلة، إذاَ تحمل إزعاجي، سوف أذهب و أحضر بعض الطعام و أعود ثانياً من أجلك

زمجر آدم في غضب قائلاً :

- كُفي عن ألاعيبك ! و هاتِ نظارتي يا آنسة !

جرت سكارلت و صاحت و هي مبتعدة :

- سوف أعطيها لك حينما أعود، شرط أن تكون ولداً مطيعاً !

و أعقبتها بعدد من الضحكات الساحرة و الساخرة ..

ظل آدم ينظر اليها حتي وصلت الي منزل توم و جوليا و دخلت و هي مازالت تضحك، ثُمَّ أغلق الباب في دهشة و ذهول و هو يحدث نفسه :

- إنها مجنونة ! إنها مجنونة بلا شك !

obeikandl.com

قاطعه ألبرت :

- بلا شك يا سيدي، و لكنها مختلفه ..

نظر إليه آدم نظرة نارية، فردَّ عليها ألبرت:

- أنا فقط أقول رأيي يا سيدي ..

ردَّ آدم في حنقٍ شديد :

- إنها مزعجة !

ردَّ ألبرت مبتسماً :

- إنها حية.
- إنها شريرة !
- هي ماكرة فحسب.
- إنها بشعه !
- هي أجمل من رأينا يا سيدي
- كفَي، سوف أستريح قليلاً و إذا أتت لا تفتح لها الباب، مفهوم؟ !
- مفهوم يا سيدي ..

obeikandl.com

من داخل إحدي النوافذ كانا توم و جوليا يراقبان الوضع حتي حدث ما حدث و عادت جوليا إلي البيت فلم يفهما، هل عادت منتصرة أم عادت بخفي حُنين !

و قبل أن تدق جرس الباب كانا يفتحان لها في شغف و قلة صبر قائلين في نفسٍ واحد :

- ها، ماذا حدث !؟ من إنتصر منكما في المعركة ؟

ردت سكارلت في ثقة :

- لنقل أننا في هدنة مؤقتة و لكنه علي وشك رفع الراية البيضاء.

نظر توم و جوليا إلي بعضهما البعض في عدم فهم، ثُمَّ سألتها جوليا :

- ماذا تعنين ؟ هل سيأتي للعشاء أم لا ؟

مطت سكارلت شفتيها في ثقة قائلة :

- لن يأتي، و لكن..

ردَّ توم في انتصار :

- أجل ! كنت أعرف، جوليا، المئة دولار من فضلك ..

ردت جوليا في غضب :

- إنتظر قالت لكن !

obeikandl.com

نظرت إليهما سكارلت في إستنكارٍ :

- أتتراهنان عليّ ؟ حسناً، من يضحك أخيراً يضحك كثيراً !!

قالت لها جوليا :

- أكملي و لكن ماذا ؟

إستطردت سكارلت قائلةً :

- و لكن أنا من سأذهب إليه.

صرخا توم و جوليا من هول المفاجأة :

- ماذا !

ثُمَّ إستطردت جوليا :

- لا شك أنكِ جننتِ! ستذهبين إلي ذلك المخبول وحدك ؟ و هل أصلاً سيسمح لك ؟!

ثُمَّ قاطعها توم قائلاً :

- إذا استيقظنا في الصباح و وجدنا جثتها مُقطعة الي أجزاء في صندوق القمامة فلن أحزن عليها، سأقول هذا ما حل بها نتيجة جنونها، أتدرين يا جوليا، الآن فقط إستوعبت أن كِلا الإثنين بنفس درجة الجنون، إنهما الثنائي المثالي ..!

obeikandl.com

ردّت سكارلت عليه :

- مازلت ذاهبة، أنا لست بمثل جُبنك يا توم ..

قاطعتها جوليا :

- و متي تذهبين ؟

ردّت سكارلت ملوحة بنظارة آدم الشمسية في طفولية:

- في التاسعة، بعد ساعتين من الآن

إندهشت جوليا قائلة :

- و ما هذه النظارة ..إنها ليست لك.

ردّت سكارلت بزهوٍ واضعة طرف النظارة علي شفتيها في دلال :

- إنها له، سرقتها، غنيمة حرب !

صاح توم ناظراً الي جوليا :

- ها، أرأيتِ ؟ صديقتكِ مجنونة، و لصة أيضاً ..!

ردّت عليه سكارلت واضعةً سبابتها اليسري علي شفتيها في رقةٍ :

- هوش..إخفض صوتك، أرجوكم لا أريدأي إزعاج، أريد أن يكون مزاجي لطيفا، سأدخل لأخذ دشاً دافئاً و أبدأ بتجهيز نفسي.

obeikandl.com

نظر توم إليها في غيظ و كاد أن يقول شيئاً لولا أن كتمت جوليا فمه بيدها ثُمَّ تأبطت ذراعه قائلةً :

- حسناً، سوف أذهب أنا و توم لتجهيز العشاء، لم يتبق الكثير، هل أجَهّز لك طعاماً لتأخذيه معك ؟

ردت سكارلت في هدوء :

- لا، سوف أذهب بعد قليل لأتبضع و أحضر طعاماً خاصاً، خاصاً للغاية !

******

حينما دقت الساعة التاسعة، كانت سكارلت تقف أمام باب آدم مرتديةً ثوباً أسوداً قصير مثير كسائر ملابسها، و تحمل في يدها سلة طعام تقليدية الشكل لا تليق بها، و كأن تلك السلة دخيلة علي تلك اللوحة الفنية الرائعة.

ضغطت زر الجرس مرات و مرات بلا إجابة..

ظلت كذلك لمدة عشر دقائق كاملة، و بدأ القلق يتسلل الي نفسها.

كانت تضغط الجرس و تدق علي الباب بيدها و لكن بلا جدوي، و

oberkandl.com

بعد مرور ربع الساعة إزداد الموقف صعوبة عليها حينما رآت أسواط الصواعق تضرب السماء بلا رحمة، أعقبها أصوات الرعد المرعبة.

كانت تعرف أن النتيجة الحتمية هي الأمطار لكي تكتمل المأسآه.

و فعلاً لم تمُر عدة ثوان حتي بدأت الأمطار في الهطول بغزارةٍ شديدة.

و لكنها لم تستسلم، عادت لتدق الباب من جديد و صاحت بصوت عال :

- آدم، أستتركني أنتظر علي الباب، لقد بللتني الأمطار تماماً، لو أصابني البرد و مِت ستكون أنت السبب، آدم.. آدم..!!

كانت تقول كلماتها بصوتٍ متهدج أقرب إلي البكاء، لا يعرف من يسمعها هل ذلك من تأثير برودة الجو أم هي خيبة الأمل ..

شعرت أن كبرياءها يتمزق في تلك اللحظات ..

و في صوت أقرب إلي البكاء اغتصبت جملة :

- آدم، كفاك مُزاحاً !

أسندت رأسها علي الباب، ثُمَّ حانت منها التفاته إلي منزل توم و جوليا، كانت تعرف أنهما يراقبان الوضع من بعيد.

إبتعدت عن الباب خطوتين ثُمَّ صاحت :

- شكراً لك أيها الشهم النبيل، لقد أنقذتني و قتلتني في نفس الليلة

obeikandl.com

..الوداع !

ثُمَّ رجعت خطوة للوراء و كادت أن تستدير حينما وجدت الباب ينفتح في بطءٍ، و من ورائه ظهر آدم بملامحه المتجمدة كتمثال نُحت من ملايين السنين.

نظر إليها في عطف حاول أن يخفيه، كانت تقف أمامه مرتعشة، تحتضن نفسها و تفرك ذراعيها لعلها تشعر ببعض الدفء.

شعرها قد إبتلَ تماماً و غطّي نصف وجهها، و سالت الماسكارا علي خديها، لا يعرف أهي أمطار السماء أم أمطار عينيها السبب في ذلك.

و برغمِ تلك الفوضي التي عصفت بها لم تفقد شيئاً من جمالها، بل إزدادت تألقاً و نقاءاً.

لم ينتظر الكثير، بل أشار لها بالدخول قائلاً :

- أدخلي، أنا آسف..

إغرورقت عيناها بالدموع و إبتسمت ببراءة غير عادية ناظرة له ثُمَّ دلفت إلي الداخل.

أجلسها آدم علي كرسي أمام مدفأة المنزل، ثُمَّ أحضر لها غطاءاً أحاطها به، كانت تنظر له في مسكنة و هدوء كقطة شاردة وجدها علي الطريق.

نظر لها في جدية مصطنعة قائلاً :

- من الجيد أنك ارتديتِ ثوباً أسود اللون، و لكن ماذا أفعل في شعركِ هذا ؟!

ضحكت في خفةٍ قائلةً :

- أتود أن أصبغه أم أصبح صلعاء؟

رد آدم بابتسامة خفيفة :

- لا داعي ..
- إحم..

جاءته نحنحة ألبرت من وراء ظهره، فإستدار قائلاً :

- ما الأمر يا ألبرت، و لما ترتدي ملابس الخروج ؟
- يا سيدي أنت تعلم أن الليلة هي ليلة عيد الميلاد، و لا أستطيع أن أترك عائلتي في مثل ليلة كهذه، لابد أن نحتفل سوياً و نتبادل الهدايا كما تعرف.
- ستتركني يا ألبرت !

ثُمَّ أشار الي سكارلت قائلاً :

- ستتركني وحدي معها ؟

obeikandl.com

نظر ألبرت إلي سكارلت في هدوء فوجدها ترتعش ناظرة إليهما في مسكنةٍ و براءةٍ مبالغين فيهما، ثُمَّ نظر إلي آدم قائلاً :

- أعتقد أنها مسالمة، و ليس معها أية أسلحة، هل بحوزتك أية أسلحة يا سيدتي ؟

هزت سكارلت رأسها في رقة و براءة مشيرة بالنفي قائلةً :

- توء توء

مط ألبرت شفتيه ناظراً إلي آدم ثُمَّ قال :

- أرأيت ؟ ليست خطيرة، باستثناء ذلك الشعر الأحمر وعيونها الزرقاء، فلا تقلق، هي وديعة كقطة!

نظر له آدم في غيظ قائلاً :

- ألبرت !!

ردَّ ألبرت في لا مبالاه :

- لقد تأخرتُ، عيد ميلاد سعيد يا سيدي، هديتك في الغرفة، لأنك لا تُحضر الأشجار الخضراء الملونة الشريرة، الوداع، وداعاً سيدتي ..

ردّت سكارلت مشيرةً بيديها كالأطفال :

- وداعاً ألبرت ..عيد ميلاد سعيد

obeikandi.com

رد ألبرت مبتسماً :

- عيد ميلاد سعيد سيدتي.

ثُمَّ خرج في سرعة و أغلق الباب وراءه ..

ظلتا عينا آدم معلقه بالباب لا يصدق ما حدث للتو، ثُمَّ إستدار الي سكارلت المبتسمة فتغيرت ملامحها إلي قناع المسكنة و الضعف ثانية, فصاح فيها آدم :

- كُفي عن ذلك !
- أكف عن ماذا !
- عن تصنع البراءة !
- أنا لا أتصنع شيئاً !
- أنتِ مجنونة !
- ربما ..
- أنتِ مريضة !

و ما أن قال جملته الأخيرة حتي نهضت سكارلت من جلستها و أطاحت بالغطاء بعيداً ناظرة له في إستياء قائلة :

- أنا راحلة !

obeikandi.com

حينما نظرت له سكارلت هذه المرة صدّقها، كانت تحمل مشاعر إستياء و كبرياء حقيقية، ولكنه لم يفهم لماذا !

إتجهت إلي الباب و كادت أن تفتحه حينما وجدته يمسك ذراعها في قوة و نظر إليها قائلاً :

- إنتظري، أنا آسف، جعلتني أتأسف الليلة مرتين، لقد تأسفتُ في حياتي كلها قبل أن أعرفك مرةً واحدة ! أخبريني ماذا تريدين يا سكارلت ؟

أمسكت ذراعيه بيديها و نظرت له في شغف قائلة بلهجتها الباريسية :

- أريدك أنت ..

ما أن سمع كلماتها حتي هوي قلبه إلي أعماقٍ سحيقة، و أعلن جسده حالة الطواريء..

كيف بكلمتين فقط تستطيع أن تُزلزل كيانه بهذه السهولة !

كيف بنظرةٍ واحدة منها أن تُحيل ذلك الوحش الراقد بداخله الي طفل وديع !

لم يعرف كيف يرُد بل أبعدها عنه و استدار قائلاً :

- أتيتِ الي الشخص الخطأ ! أنا لست من ذلك النوع يا آنسة !
- و أنت أيضاً أخطأت فهم كلماتي، أنا لست فتاةً رخيصة ! لو

obeikandl.com

كنت أريد إشباع رغبات جسدي لما تركت ورائي الكثيرين في باريس يشتهونه و أنا أرفض مرةً تلو الأخري.

إستدار آدم ليواجهها قائلاً :

- إذا عماذا تبحثين ؟

إقتربت سكارلت منه و وضعت يدها اليمني علي موضِع قلبه ثُمَّ نظرت له هامسةً بباريسيتها المميتة :

- ألا تشعر به ؟

قال لها مشيحاً بوجهه :

- ماذا تقصدين ؟!

ثُمَّ حاول إبعادها ثانياً فأمسكت يده في قوةٍ و وضعتها علي موضع قلبها هامسة مرةً أخري :

- ما أشعُر به..

لا يدري هو كيف تزلزله بهذه الطريقة في اللحظة آلاف المرات ..

حاول أن يتماسك،أن يهرب منها، بجسده،أو حتي بعينيه، لم يستطع، كانت تطبق السيطرة عليه بعينيها.

و بعد أن عجز عن النطق، تكلم :

obeikandi.com

- و هل تولد مشاعر كتلك في ليلةٍ و ضحاها ؟
- و لما لا ؟
- مِن المفروض أنه..

قاطعته سكارلت في استنكار :

- من المفروض ؟ و هل للعشق كتاب للقواعد ؟

إبتسم لها قائلاً :

- نوعاً ما*

ثُمَّ أمسك يديها و أبعدها عنه من جديد قائلاً :

- التعقل واجب في مثل هذه الأمور
- و من قال أن هذا جُنون ؟ [1]
- هو الجُنون بعينه !
- و ما السيء في الجُنون ؟

ثم أضافت بفرنسية خالصة :

---

١ يقصد كتاب (قواعد العشق الأربعون) لإليف شافاق.

obeikandl.com

J'ai aimé jusqu'à atteindre la folie; Ce que certains appellent »

« .la folie, mais ce qui pour moi, est la seule façon d'aimer

((أحببت الوصول للجُنون، الذي يسميه البعض حماقة، و لكنه بالنسبة لي هو الطريقة الأكثر عقلانية للحُب))

رفع حاجبيه في اندهاش قائلاً :

- هه، أنتِ مثقفة إذا!؟ تقرئين لفرنسوا ساجان ؟
- قلت لك أنني لست بفتاة رخيصة، أنا خريجة السوربون.

رد آدم في انبهار :

- ممم مذهل، ظننتك في البداية مجرد دمية باربي ..

أشاحت بوجهها قائلةً :

- الكثيرون يظنون ذلك، تلك هي مشكلتي، هل معك سجائر ؟
- نعم، إنها علي المنضدة بجانبك، و معها القداحة..

تلفتت إلي يسارها و تناولت السجائر فأخذت سيجارة و رمت العلبة علي المنضدة في عدم إكتراث، أشعلت السيجارة، نفثت دخانها في بطء ثم تناولتها بيدها اليسري، ثُمَّ مدّت يدها الأخري إلي حذائها فخلعته، ثُمَّ وضعت ساقاً علي ساقٍ قائلة :

obeikandl.com

- هكذا أفضل ..

كانت تجلس هناك في ذلك الركن علي المقعد كملكة تجلس علي عرشها، تتراقص إنعكاسات النيران في عينيها فتزيدها لهيباً.

نظرت له و هي تداعب خصلةً من شعرها المبتل قائلة :

- سأكمل لك، مأسآتي في هذه الحياة، أن ذلك الجسد، وذلك الوجه دائماً ما يعطيان الإشارات الخاطئة لمن حولي بأنني كما قلت أنت -دمية باربي- أو فتاةُ رخيصة أو صيد سهل، لم يُعِر أحد أي إهتمام بعقلي أو إهتم إذا كنت أدرس أو أعمل أو إلخ..
- و لم تظنينني مختلفاً عنهم ؟
- أنت بالفعل مختلف، لقد حاولتَ إبعادي عنكَ اليوم فقط أكثر من ثلاث مرات، و ذلك الثوب يشهد علي ذلك.

فهم أنها تقصد أنَّ ملابسها إبتلت تماماً و هي منتظرة علي عتبة بابه ..

ردَّ عليها بابتسامة خفيفة قائلاً :

- حسناً ..أكملي.

إحتضنت ذلك السيجار بشفتيها ثُمَّ نفثت دخانه في بطءٍ و إستطردت قائلةً :

- توقعت بعد أن تنقذني أن تفرضَ نفسك عليّ و تستمر في

obeikandl.com

ملاحقتي، ولكنك علي النقيض، فعلت العكس تماماً و تجاهلتني، لحظتها شعرت أنّك مختلف، ناهيك عن القصص التي سمعتها عنك من توم و جوليا، أنت رجل غامض، و أنا أُحب الغموض..

- قِصص ؟
- أعلم أنك تخفي شيئاً، سراً يقتلك من الداخل، لست وحدك ..
- أنت تُخفين شيئاً ؟
- كلنا نُخفي أشياءاً يا آدم.
- لطيف، لدينا عاملٌ مشترك اذاً.
- نعم، و لن أسألك ماذا تخفي، في المقابل, لن تسألني أيضاً.
- صفقة عادلة

أطفأت سيجارتها ثم استطردت قائلة :

- صحيح..كيف أنقذتنَي ؟
- كنت بغرفتي حينما سمعت صرير ذلك الإطار، نظرت من نافذتي و شاهدت ما يجري، لم أنتظر لأعرف ما سيحدث و قفزت من النافذة متجهاً نحوكِ، وأنتِ تعرفين الباقي ..
- أنت شجاع بحق.

obeikandl.com

- أي شخص كان سيفعل ما فعلت.
- ربما..و لكن ليس كل الأشخاص بمثل براعتك..
- لأنني أمارس رياضات عنيفة.

ردت سكارلت في مكر :

- سأحاول أن أصدق، ألستَ جوعاناً؟
- ما دُمتِ قد سمعتِ قصصاً عني فأنت بالتأكيد تعرفين أن هذه النقطة بالذات شائكة، أعني الطعام..
- أعرف، و لدي الحل..

إتّجهت سكارلت إلي سلة الطعام التي أحضرتها فأخرجت لفة طعام و زجاجة نبيذ، ثُمَّ إستدارت لآدم قائلةً :

- هلا أحضرت لنا كأسين ؟

ذهب آدم إلي المطبخ و أحضر كأسين و حاول تحاشي النظر إلي الطعام .

انتبهت سكارلت لذلك فضحكت ضحكة قصيرة ثم قالت له :

- لا تخف،لن يعُضك، تعال نجلس أمام المدفأة..

جلسا الإثنان وخلعت هي وشاحاً كانت قد وضعته علي رقبتها، و إقتربت من آدم حتي صارت أنفاسها تحرقه، و قامت بربط الوشاح علي عينيه في

obeikandl.com

رقة قائلةً :

- الآن تستطيع أن تأكل معي في أمان.
- أنتِ ذكية..أعترف لكِ بذلك.

إقتربت منه هامسة :

- إفتح فمك
- ممم ما هذا ؟
- إنه كرز أحمر.

أخذت تطعمه كرزة بعد أخري، و حينما كانت تلامس أصابعها شفتيه كان قلبه يستغيث و ينتفض في قوة .

تناولت زجاجة النبيذ من جانبها و فتحتها و بدأت في صبِ القليل في كل كأس..

- افتح فمك
- ممم ..نبيذ ؟
- أحمر
- أحمر ! كرز أحمر ،و نبيذ أحمر ، أنت لا تنتقين الألوان جيداً !
- لكل منا ألوانه !

obeikandi.com

خلع آدم الوشاح من علي عينيه قائلاً :

- ما قصتك ؟

ضحكت سكارلت في قوة حتي دمعت عيناها، فاندهش آدم قائلاً :

- مابكِ ؟
- حينما أتيت الليلة خلتُ أنني من سأوجه هذا السؤال إليك.

ثُمَّ ضحكت ثانياً فلم يتمالك آدم نفسه و ضحك هو الآخر ،ثُمَّ إنتبه إلي الوشاح حول رقبته فقال بغضب مصطنع:

- وشاح أحمر أيضا، يا إلهي, أنتِ لعنة !

كور الوشاح و رماه بعيداً عنه، و نظر إليها فوجدها تنقل النظر بينه و بين أنحاء المنزل فقال لها :

- ماذا هنالك ايضا!
- ماذا تعمل بالضبط ؟
- رجل أعمال، ولكن لما هذا السؤال بالتحديد ؟

ردت عليه بخبث :

- بيتك شديد الرفاهية، ظننتك تعمل بتجارة المخدرات!
- حقاً ؟ و ماذا تعملين أنتِ ؟ جاسوسة ؟

obeikandi.com

ضحكت في رقةٍ ثُمَّ ردّت في هدوء :

- أعمل بالأمم المتحدة..
- مم و ماذا تعملين بالأمم المتحدة ؟
- آه، أنت تعرف، أسافر مع البعثات لمساعدة الدول الفقيرة، خاصة في أفريقيا، ذهبتُ إلي دول مثل الكونغو الديموقراطية، النيجر و مالي.

قالتها ثُمَّ أمسكت كتفها الأيسر و كأنها تتذكر شيئاً ما ..

إنتبه لما فعلته ثُمَّ نظر لها في إهتمام قائلاً :

- لم أسألك من قبل عن هذا الجرح ؟

تململت في صمتٍ و لم ترد، فقال لها مستدركاً :

- لا تخبريني إذا كان هذا من ضمن أسرارك إياها.
- لا ..ليس الأمر كذلك، هي فقط ذكري مؤلمة بالنسبة لي، و لكنني سأخبرك علي أي حال
- حسناً ولكن لا تضغطي علي نفسك.
- لا بأس.
- من شهرين تقريباً..أرسلتني الأمم المتحدة مع قافلة مساعدات

obeikandl.com

محملة بالأدوية و الأغذية إلي إحدي القري النائية بمالي، و أرسلت معنا كالعادة مجموعه من الجنود الدوليين، كما تعرف، من أجل التأمين و الحماية و توزيع المساعدات، بعد أن وصلنا، بدأنا في توزيع المساعدات و علاج المرضي و حصر المشاكل التي يواجهها أهل القرية هناك.

- جميل و ما الذي حدث بعد ذلك ؟
- مرت ثلاثةُ أيام دون أية مشكلة، حتي إشتعل الموقف فجأة في اليوم الرابع، جاءت الي القرية إحدي الميليشيات التي تسعي للحكم هناك، رغبةً منهم في الإستيلاء علي المساعدات التي معنا، أنت تعرف المشاكل السياسية التي تواجهها مالي هناك، و للأسف حدثت الاشتباكات بين القوات الدولية و بين تلك الميليشيات، و ظلّت الاشتباكات دائرة ما يقرب من الثلاثة أيام، و للأسف قاموا بتدمير المروحية التي جئنا بها.. حاولنا طلب مساندة من القيادة العامة، و لكنهم قالوا إنها ستتأخر لأن الميليشيات كانوا قد إحتلوا جزءاً كبيراً من الأراضي المحيطة بنا هناك، و كان من الصعب علي قوات المساندة أن تخترق الحصار، و بعد خمسة أيام كاملة وصلوا أخيراً. أرسلوا لنا مروحيةً أخري لنقلنا، كان قد توفي جنديان و طبيب و أصيب خمسة جنود آخرون ممن معنا. قمنا بتحميل كل الجثث و المصابين في المروحية..كل ذلك و نحنُ تحت خط النار، و ركبنا جميعاً غير مصدقين.

كانت المروحية علي وشك الإقلاع حينما لمحت ذلك الطفل يجري باكياً تجاه جبهة الميليشيات، لا يدري أنه متجه لهلاكه. لم أفكر، فقط وجدتني أغادر المروحية راكضةً ناحيته، حملته و عدتُ به إلي الجبهة الآمنة، حيث وجدت أمه تصرخ و تولول في ذعر..أعطيته لها، و إستدرت عائدةً. في أثناء ذلك لك يكف كل من كانوا في المروحية عن الصراخ لما فعلته، أخذت أركض عائدة ناحية المروحية و لم يكن يتبق إلا مترين تقريباً بيني و بينها حينما وجدتُ شيئاً ساخناً يخترقُ كتفي الأيسر و وجدت الدم يتدفق منه في غزارة، لم أتحمل المشهد و فقدت الوعي في الحال.

- .....
- بعد أن عدت إلي وعيي وجدتني في إحدي المستشفيات التابعة للأمم المتحدة بالمغرب، و عرفت بعدها أنه بعد اطلاق النار عليَّ ، و لكن أنقذني الجنود و أقلعت بنا المروحية بعد ذلك متجهة إلي هناك، و تلك هي قصة ذلك الجرح في كتفي.
- ممم, أنتِ شخصية مثيرة للإهتمام .
- لكل منا تجاربه الصعبة.
- هذا صحيح، ولكن كيف تتقبل عائلتكِ مثل تلك المواقف ؟
- آه..أبي و أمي قد توفيا في حادث حينما كنت في السادسة من

عمري و ليس لدي أشقاء أو شقيقات، تربيت في بيت جدتي حتي وصلت للسادسة عشر و بعد ذلك إنطلقت لأعيش بمفردي، و جدتي لا تعرف الكثير مما يحدث في حياتي صراحة.

- أنا آسف بشأن والديكِ .
- لا عليك، حقيقة أنا لا أتذكر الكثير عنهما ..مجرد ذكريات مبهمة و لا أفتقدهما بتلك الضراوة.
- و لكن لابد أن ذلك منحك الكثير من القوة و تحمل المسئولية ,
- نعم,هذا صحيح، و لكن هذا جعلني أشعر أنني دائماً أكبر من سني. أتذكر جيداً أنني لم أعش فترة مراهقتي بالشكل المتعارف عليه. أنظر! ..الجليد يتساقط من جديد ..!

نظر آدم ناحية النافذة ثُمَّ نقل بصره إليها و هذه المرة كان ينظر إليها بطريقةٍ مختلفة..

هي ليست فقط جسد جميل أو ضحكة ساحرة ..

ليست غمازات و عيون آسرة ..

إنها إمرأةٌ من حديد، ذات كيانٍ و طموحٍ و مستقبل..

بكل ما فيها من تناقضات، من جمالٍ وصلابة و مراهقة، تهور و قوة شخصية.

obeikandi.com

صوت الأكورديون الفرنسي الذي يعزف في نبرة صوتها..

و ذلك النور الباريسي الذي يشع من عينيها، بل إنها النور في حد ذاته !

سكارلت ..إنها خلاصة كل شيء حلو بباريس ..!

******

مرّت بعد ذلك الساعات و هما يتبادلان الأحاديث و الضحكات و يتناولان كافة المواضيع في السياسة و الفلك و الفن و الأدب ..حتي الرياضة ..

و في النهاية تمددا بجانب المدفأة و هما يستمعان إلي بعض الأغاني القديمة لنات كينج كول، نينا سيمون و دين مارتين، حتي دقت الساعة السابعة صباحاً فغطّا في نومٍ عميقٍ و هما مازالا يستمعان إلي الموسيقي.

******

في الحادية عشر صباحاً إستفاق آدم من غفوته ..

نظر حوله فلم يجدها ..و إنتبه أن ذلك الغطاء الذي أعطاه لها ليلة البارحة كان يغطيه.

obeikandl.com

إبتسم نصف إبتسامة ثم أزاحه في هدوء، نهض باحثاً عنها، فلم يجدها.

كانت الموسيقي ما تزال دائرة ..فإتجه إلي مُشغِل الأقراص ليطفئه.

وجد صندوقاً أحمر صغير ملفوف بعناية و مرفق معه ورقة مكتوب عليها بأحمر الشفاه :

هديتي لك في الكريسماس

سكارلت

ملحوظة : لأنك لم تعطني هدية، فنظارتك الشمسية هي هديتي !

فتح الصندوق في سرعة ..فوجد ربطة عنق حمراء بداخلها ..

ابتسم مغمضًا عينيه، ثم أرجعها ثانيةً إلي الصندوق وأعاده الي مكانه بجانب مشغل الأقراص.

شعر بصداع خفيف فاتجه إلي المطبخ ليعد قدحًا من القهوة ..فوجد علي المنضدة ورقة صغيرة أخري مكتوب عليه بأحمر الشفاه :

obeikandl.com

في الثلاجة..لا تنس فطورك

سكارلت

هرع إلي الثلاجة، فوجد طبقاً كبيراً به قطعتين من الخبز المحمص و طبق صغير به مربي و زبد و كوبًا من عصير البرتقال ..

ووجد وشاحَها الأحمر بجانب الطبق و به ورقة صغيرة..

إلتقطها فوجدها مكتوبة أيضًا بأحمر الشفاه ذاته :

من أجل أن تأكل بلا خوف

سكارلت

- يالها من مجنونة ! ولكن أين ذهبت و كيف أصل اليها ! لماذا لم تترك ...

رنَّ هاتفه المحمول فقطع عليه أفكاره، كان صوت رسالة قصيرة ..

إتجه خارجاً من المطبخ متجهاً إلي هاتفه المحمول الذي كان علي إحدي الطاولات

obeikandl.com

فتح الرسالة و بدأ في قراءتها :

لابد أنك قد إستيقظت منذُ مدة ..

تأنّق، فسأراك ليلا، ولا تدع الأمطار تبلل ثوباً أخر لي..

سكارلت

******

حينما دقت التاسعة كانت هناك تقف علي بابه..ضغطت الجرس في رقة ..ففتح لها

كانت ترتدي ثوباً أزرقاً رقيقاً يتناسب تماماً مع لون عينيها، حاملةً في يديها إكليلاً من الورود الحمراء.

إبتسمت لتُعلن عن وجود غمازاتها فإغتالته إبتسامتها بلا رحمة، و لم تنتظر فدلفت من الباب تحتضنه، فحطمت ضلوعه رقةً و دلالاً..

شبّت كالأطفال بقدميها هامسة في أذنه :

- كم أنت أنيق الليلة !

ثُمَّ طبعت قُبلةً علي خده الأيمن، وأعطته إكليل الورود قائلةً :

- اليوم أحضرت لك ورداً ..مع أن ذلك من واجبك، و لكن لا تعتاد علي ذلك !

obeikandl.com

ثُمَّ عادت خطوة الي الوراء قائلة :

- هيا بنا !، ولكن، أين ربطة العنق إياها ؟ ستتناسب مع تلك البدلة تماماً.
- سكارلت، كُفِي عن جنونك ! لن أرتدي شيئاً أحمراً و ماهذه الورود الحمراء ! ثُمَّ هيا بنا إلي أين ؟ أتظنين أنني سأخرج معك إلي أي مكان ؟ !
- ستفعل حتماً ..

قالتها بكل ثقة ..ثم تلفتت حولها و اتجهت الي مشغل الأقراص فوجدت ذلك الصندوق في مكانه، أخرجت منه ربطة العنق الحمراء و إتجهت إلي آدم الذي كان ينظر إليها رافعاً إحدي حاجبيه في غضب.

- آدم، سايرني لهذه الليلة فقط، لن تندم، أرجوك !

نفخ ادم في ضيق ثم قال لها:

- حسناً حسناً !

صفقت بيديها قافزة كالأطفال ثم أخذت تخلع ربطة العنق السوداء التي يرتديها و تبدلها بالحمراء، وحينما إنتهت صاحت مبتسمةً:

- الآن إكتملت أناقتك ! هيا بنا !
- إلي أين أيتها المجنونة !

obeikandl.com

- لا تسأل !

تأبطت ذراعه متجهةً إلي سيارة تركن بالخارج.

- سيارة حمراء يا سكارلت ! حمراء !
- نعم , و أنا من سأقود.

أدارت محرك السيارة و إنطلقت بها في قوة ..

مرت ربع ساعة لم يتبادلا فيها الكثير من الكلام حتي وصلت وجهتها.

- سكارلت، ما هذا المكان ؟
- إنه مرصد, مرصد للنجوم و الكواكب
- يالكِ من رومانسية ! أتيتِ بي إلي هنا لكي نقوم بعد النجوم ؟

ضحكت بخفة قائلة :

- ليس الأمر كذلك، ولكنني أحب ذلك المكان، وأحببت أن تشاركني إياه فقط.
- و لكن لما المرصد بالذات ؟ أتُحبين الفلك ؟
- نعم, منذ أن كنت صغيرة و أنا أتمني أن أصبح رائدة فضاء و كدت أن أحقق ذلك الحلم، و لكن..

أغمضت عينيها للحظة ثُمَّ فتحتهما قائلةً في هدوء :

obeikandl.com

- لا عليك، هيا بنا إلي الداخل !

قالتها بنبرة مغايرة تماماً عما قبل..ثُمَّ تأبطت ذراعة ناظرة له في شغف..

و دخل الإثنان إلي المرصد معاً حاملين مشاعر مختلطة بين نشوة سكارلت و تردُّد آدم.

******

تكررت بعد ذلك اللقاءات و تضاعفت الهدايا الحمراء المرفق معاها الأوراق الصغيرة المكتوب عليها بأحمر الشفاه.

إمتلأ بيتُه بها يوماً بعد يوم.

تلك القداحة، و ذلك الهاتف المحمول، تلك الساعة الحائطية، قدح للشاي، قلم حبر، أكاليلُ ورود..كلها أشياءٌ باللون الأحمر.

مرّت الأيام و لم يعرف لِما تفعل ذلك، لِما تعطيه ولا تأخذ، لم تطلب منه شيئاً بالمرة، لم تبخل عليه بحبها و مشاعرها يوماً ، برغم أنه فقيرٌ للغاية بمشاعره معها، فقير إلي حدِ البرود، لم يعطها يوماً أي شيء بالمقابل، سواء كانت مشاعر أو هدايا.

كم من مرةٍ توسلته من أجل كلمة حبٍ بسيطة و لم يقلها..

كم من مرةٍ إنتظرت منه أن يفاجئها بوردة واحدة فقط و لم يفعل، و كم من مرات كثيرة خيب ظنها فيه..

obeikandl.com

كانت معه كمن يحاول إذابة جبل من الجليد، كانت كمن يتسول منه الحب و لكن بلا جدوي، و برغم فشلها يوماً بعد يوم، إلا أنها لم تيأس.

حتي جاء ذلك اليوم، كانت قد إتفقت معه علي اللقاء في المساء كالمعتاد..

و حينما دقت التاسعة، كان ينتظرها جالساً أمام المدفأة كعادته.

و لكنه لم يسمع جرس الباب ..ولا تلك الضربة الرقيقة عليه بيديها.

بدأ القلق يتسرب الي نفسه، هي التي لم تتأخر لحظةً عليه أبداً، تتأخر اليوم عشر دقائق كاملة.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه و إتصل بها.

<< الرقم الذي طلبته غير موجود بالخدمة>>

ماذا ! كيف !

جنَّ جنونه و حاول الإتصال مرة تلو الأخري و لكنه ظل يسمع تلك الرسالة في كل مرة.

نهض متجهاً إلي الباب و أمسك بقبضته و لكنه توقف بضع لحظات متردداً، ثُمَّ ما لبث أن فتحه مغادراً منزله.

اتجه الي الناحية المقابلة، إلي بيت توم وجوليا، لا يعرف ماذا دهاه، و كيف يفعل شيئاً مثل ذلك، شيء ضد قوانينه الثلاثة، لا حب، لا

obeikandl.com

أصدقاء، لا ألوان.

يعرف إنه كسر تلك القوانين الثلاثة معها، و لكنه كسرها معها، معها فقط ! و هذا شيء آخر !

كان يكافح ضد أفكاره حينما وصل إلي وجهته أخيراً.

دقَّ جرس الباب و رجع خطوتين إلي الوراء مطرقاً برأسه في إضطراب.

مرت نصف دقيقة كاملة قبل أن ينفتح الباب و من ورائه ظهرت جوليا بوجهٍ شاحب:

- مرحباً، كيف يمكنني أن أخدمك ؟
- أنا..أنا صديق لسكارلت، و كنا قد اتفقنا اليوم أن ..أين هي ؟

قالها متلهفاً و العرق يتصبب علي جبينه ..

- لقد سافرت إلي باريس فجأة.
- باريس ! أليس لديك عنوانها أو حتي رقمها هناك ؟
- لا، أنا آسفة.
- ألم تترك أية رسالة لي ؟ ألم تخبركِ شيئاً ؟
- لا
- حسناً، و لكن أخبريني إذا اتَصَلت بكِ ..

obeikandl.com

- حسناً، سأفعل.
- شكراً سيدتي.

قالها و إستدار عائداً الي بيته و قلبه يتمزق، يشعر أنه يحترق من الداخل آلاف المرات، دخل منزله و أغلق الباب في عنف.

كان يغلي كثورٍ هائج، إمتزجت بداخله مشاعر الغضب و الألم.

وقف أمام تلك المرآة في ركن من أركان بيته، ناظراً إلي نفسه، ثُمَّ نظر إلي ربطة عنقه الحمراء إياها، فأخذ يخلعها في عنف و رماها أرضاً، ثُمَّ صرخ في قوة.

- ألبرت! ألبرت !

جاءه ألبرت مسرعاً من الداخل :

- نعم سيدي، ما بك ؟
- دمِّر تلك الأشياء الحمراء السخيفة التي تملأ المنزل، كلها ! مفهوم؟ كلها يا ألبرت، إحرق ذلك الدنس ! إنسفه نسفاً !
- حسناً يا سيدي..حسناً و لكن إهدأ ؟ و أخبرني ماذا حدث ؟
- لقد هربت يا ألبرت، بعد أن جعلتني أتعلق بها، هربت ! تلك الساقطة !

obeikandl.com

- سيدي لا داع لأن...
- ساقطة يا ألبرت ! اذهب الآن و احرق تلك الأشياء ! حالاً! إجعل البيت نظيفاً كما كان من قبل، بالأبيض و الأسود ..بالأبيض و الأسود فقط ! كنت مخطئاً حينما تخليت عن حذري و كسرت قوانيني الثلاثة، لا حُب، لا أصدقاء، لا ألوان.

******

بعد مرور ثلاثة أشهر ..

كان آدم يجلس جلسته المعتادة في غرفة نومه التي إستحالت إلي اللونين الأبيض و الأسود مجددا، يستمع إلي إحدي الأغاني القديمة، و يدخّن سيجاره في بطء.

دقَّ ألبرت علي الباب في هدوءٍ ثُمَّ دخل.

- سيدي، جئت أذكرك بميعاد البنك اليوم، يجب أن تذهب في خلال ساعة.
- أعرف يا ألبرت، كنت علي وشك التحرك.

نهض آدم و تناول سترته ليرتديها ثم وضع نظارته الشمسية علي عينيه و ودع ألبرت و مضي.

حينما وصل آدم البنك وجده مزدحماً كالعادة، فسحب رقماً و جلس علي

obeikandl.com

أحد المقاعد يتنظر دوره، و لكي يتجنب أن يتحدث معه أحد أخرج سماعات الهاتف ليضعها في أذنيه مستمعاً الي بعض الموسيقي.

كان علي وشك وضع إحدي السماعات في أذنه اليمني حينما تناهي إلي مسامعه صوت ليس بالغريب عليه، كان صوت إمرأة تتكلم في هاتفها المحمول :

- آلو، نعم..كيف حالكِ ؟ متي ستدخلين ؟ بعد ساعتين ؟ حسناً, أنا آتيةٌ إليكِ، فقط أقوم ببعض الاجراءات البنكية و لن أتأخر..

صوتها لم يكن غريباً عليه و لكنه لا يتذكر لمن هو، قرر أن يستدير ليعرف صاحبة الصوت حينما سمعها تتكلم من جديد :

- لا تقلقي، نصف ساعة بالكثير و سأكون عندك، وداعاً سكارلت.

نزل عليه الإسم كالصاعقة، و تذكر حينها أن ذلك الصوت لجوليا.

تسمّر في مكانه و خشي إن إستدار أن تراه.

كان يصارع أفكاره، سكارلت.. !

إذاً هي هنا و لكن كيف ! ألم تخبره جوليا أنها في باريس!

ألم يطلب منها أن تخبره حينما تتصل بها سكارلت من جديد .. !

قرر أن يقطع الشك باليقين و أن يتتبع جوليا كي يعرف في أي مكان تقبع سكارلت.

ظل آدم يراقب جوليا في حذر حتي إنتهت من تخليص إجراءاتها، و غادرت البنك فغادر خلفها، ركبت سيارتها و إنطلقت و إنطلق هو خلفها بسيارته، وصلا الإثنان بعد ١٠ دقائق، و إنتظر آدم قليلاً حتي غادرت جوليا سيارتها متجهةً إلي الناحية المقابلة، كانت إحدي المستشفيات.

إتجه مسرعاً الي داخل المستشفي عابراً بهو الاستقبال الي مكتب الاستعلامات حيث كانت تقف إمرأة في الثلاثينيات من عمرها.

- من فضلك، سكارلت أوجستين، في أية غرفةٍ هي ؟
- آه سكارلت، إنها في الغرفة ٨٠٧..هذه السيدة صاعدة إليها الآن.

ثُمَّ أشارت بيدها إلي جوليا التي كانت تستقل المصعد.

- شكراً، شكراً جزيلاً.

قالها آدم بلهجة ممتزجة باللهفة و الألم, ثُمَّ إتجه إلي المِصعد..

و ظل منتظراً عدة دقائق حتي أتاه المِصعد و استقله.

بعد أن وصل به المصعد إلي الدور المطلوب، خرج آدم في بطءٍ يسحب قدميه خلفه كمن هو ذاهب إلي غرفة الإعدام .

يعرف أنه يريد أن يراها، و لكنَّ قلبه لا يتحمل ثقل ذلك الشوق الذي يقتله منذ ثلاثة أشهر كاملة، ثُمَّ إنه يعرف الآن أنها مريضة، و لا يعرف ما هي خطورة مرضها، إنه يخشي أن تكون مصابة بال...

تأكدت ظنونه حينما لمحت عيناه تلك اللافتة علي الحائط..

قسم الأورام

تمزّق قلبه بين ضلوعه و إنتفض في قوة جعلت آدم يهتز و خانته قدماه و كاد أن يسقط أرضًا و لكنّه إستند إلي الحائط، و أكمل السير إلي غرفتها.

كان ينظر يمينا و يسارًا بحثًا عن غرفتها ..

٨٠١..٨٠٢..٨٠٣..٨٠٤...٨٠٥..٨٠٦..٨٠٧

إنتفض قلبه في قوة حينما رآي الرقم, إتّجه إلي الباب في بطءٍ و كاد أن يدقه حتي وجده ينفتح خارجةً منه جوليا.

إرتعبت حينما رآته، لكنها وجدت عينيه كمن تقول لها لِما أخفيتِ عني كل ذلك ؟

فهمت في صمت ..

obeikandi.com

أطرقت في خضوع ثُمَّ رفعت وجهها و الدموع تتساقط من عينيها قائلة:

- آسفة.. لقد أجَبَرتني..

ثُمَّ غادرت بخطواتٍ سريعه تاركةً آدم أمام باب الغرفة يحاول أن يتماسك، يحاول أن يكون قوياً قبل أن يدخل إليها، إلي سكارلت.

دقَّ الباب مرتين في لطفٍ شديدٍ ثُمَّ دلف إلي الغرفة.

كانت هناك ترقُد علي السرير، ترنو بعينيها إلي النافذة في صمت.

شاحبة الوجه، شعرُها الأحمر مازال يتناثُر حولها في غجرية تامة، و لكنه صار باهتاً و قد تساقط معظمه، فقدت شفتيها ذلك اللون الكرزي المميز.

و ذلك الضعف يحتل عينيها في قسوة.

وعديد من الأجهزة و المحاليل متصلة بيديها الرقيقتين تغتصبهما في وحشية.

لم يستطع تحمل ذلك المشهد و احتشدت في عينيه غيامات و لكنه تماسك.

تنبهت هي إلي وجوده فحركت عينيها في بطءٍ تجاهه و إبتسمت في ضعف

- آدم، كيف عرفت ..!؟
- تتبعتُ جوليا إلي هنا من دون أن تعرف.
- تلك الحمقاء

obeikandl.com

قالتها بإبتسامة واهية ثُمَّ سعلت في قوة، فإتجه آدم بسرعه إليها.

- ماذا أحضر لك ؟ ماء ؟
- لا..لا عليك، أنا أفضلُ الآن..

إقترب من السرير و إنحني ليطبع قُبلةً علي جبينها في رقة، ثُمَّ جلس بجانبها و أمسك يديها بلطف قائلاً :

- كم اشتقتُ اليكِ، ظننتكِ....
- ظننتني ساقطة، عشت يومين معك و هربت، أليس كذلك ؟

لم يستطع آدم الرد، نظر إلي يديها ثُمَّ قال :

- الأمرُ كان صعباً عليّ، كدتُ أن أجن، و لم أعلم لما فعلتِ ذلك، حاولت الوصولَ إليكِ بشتي الطرق، و لكنك لم تتركي طرف خيطٍ واحد يدلني إليكِ, لماذا لم تخبريني، لماذا ؟

بلعت سكارلت ريقها في بطءٍ ثُمَّ قالت له :

- حان الوقت لكي أخبرك كل شيء، لم يعد هناك وقت للمماطلة. منذ ثلاث سنوات، قررت أن أتقدم للإلتحاق بناسا، كرائدة فضاء، أنت تعرف أن هذا كان حلمي، وافقوا عليّ مبدئياً، و لكنهم إحتاجوا إلي مزيد من الإختبارات و الفحوصات. و بعد أيامٍ ذهبت لأعرف النتيجة النهائية، تهرب

obeikandl.com

مني المسئولون يومها و لم أفهم وقتها لما فعلوا ذلك. كنت أنتظر في إحدي الغرف بانتظار النتيجة، حينما أتي إلي أحد الأطباء الذين أجروا علي الاختبارات، و عرفت منه أن نتائجي كانت مذهلة بإستثناء أنَّ ذلك الورم بدأ يلتهم خلاياي في شراسة، لحظتها إجتاحني الحزن مرتين، مرة لإكتشافي ذلك الورم و مرة لضياع حلمي بسببه. ذهبت بعدها الي إحدي المستشفيات و قمت بعدة تحاليل و فحوصات، و بعد تجربة الكثير من العلاجات و الأدوية قرر الأطباء بأنهم سيقومون بإجراء عملية جراحية لإستئصال لذلك الورم. تمت بعدها العملية بنجاح و تمَّ إستئصال الورم تماماً،و عدت إلي حياتي الطبيعية مرة أخري. و قررت بعدها أنني أريد القيام بشيء مفيد أكثر لغيري و للإنسانية، و إلتحقت بعدها بالأمم المتحدة و أنت تعرف الباقي. و بعد مرور سنة، عاودتني تلك الآلام مرة ثانية، و لكنني لم آبه بها، حتي حدثت حادثة مالي التي قصصتُها عليك من قبل. و حينما دخلت تلك المستشفي، عرفت أن المرض قد عاد من جديد و هذه المرة كان أكثر شراسة و عنفاً عن ذي قبل، أخبروني أنني لم يتبق لي إلا عام أعيشه علي أقصي تقدير.

- تركت بعدها العمل و عدت إلي باريس، لم أرغب في الخوض في مزيد من الفحوصات و العلاجات و العمليات، أردت أن أعيش ما بقي من عمري في سلام.

شعرت أنني بخير و مر شهران حتي قابلتك، وقتها لم أهتم لمرضي، توهمت كذباً أنني سوف أتحدي مرضي بالحب، و لكن لم يمر وقت كثير حتي حدثت لي إنتكاسة أخري، بعدها قررت أن أبتعد، عرفت أن هذه هي أيامي الأخيرة، و لم أرغب أن تراني هكذا، سكارلت الجميلة المجنونة المفعمة بالحياة، ترقد في ضعف بين الموت و الموت !

- أنت مازلتِ جميلة و سوف تكونين بخير، لا تقلق.
- لست قلقة، صدقني،أنا أفضل من أي وقت مضي، لست نادمةً علي شيءٍ،و لا أخشي أي شيء، يكفي أن الحياة قد أهدتني إياك، أعرف أننا لم نقض معاً الكثير من الوقت، و لكن بالنسبة لي كل يوم عشته معك هو حياة بأكملها.

إغرورقت عينا آدم بالدموع حينما سمع كلماتها، ثُمَّ إنحني مقبلاً يدها، فتساقطت بعض دموعه عليها.

ضغطت علي يديهِ في رقة قائلة بصوت وهن :

- لا تبك، لم أعهد أن أراك هكذا، عهدتك قوياً شامخاً.
- تقصدين قاسياً..

إبتسمت له سكارلت في رقة قائلةً :

- ولذلك حاولت تغييرك..حينما عرفتك، فهمت أنك تخفي

شيئاً و هو الذي يجعلك تتصرف بمثل هذه القساوة، كنت فقط تحاول أن تحمي ذلك الطفل الهش بداخلك، لا تريد أن تلين حتي لا تسحقك الحياة تحت تروسها، حاولت أن أحطم تلك الأسوار التي شيدتها أنت من حولك. كنت أحاول و أفشل يوماً بعد يوم، ولكنني لم أيأس. كنت أعرف أن ما بنيته أنت في سنين يصعب عليَّ هدمه في أيام. و حينما بدأت أن أصل إلي نتيجة..لم تنصفني الحياة، و أخذتني منك. حاولت أن ألون لك الأيام، أن أخرجك من عالم الأبيض و الأسود...و لكن الوقت لم يسعفني.

كانت تقول كلماتها و آدم يتهدج أمامها بالبكاء، و أخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة :

- أنا آسف..الألوان ..هداياكِ ..لقد ..لقد أمرت ألبرت بحرقها..
- لا تخف، كنت أعرف أنك ستفعل ذلك لحظة أن تكتشف غيابي، فاتصلت بألبرت قبل أن أغادر لأخبره أن يخبئها في مكان آمن لا أن يتخلص منها.
- كيف ! كيف يمكنكِ أن تكوني كذلك، أن تكوني سكارلت ! أنا آسف، أعرف أنني كنت وغداً معك، كنت قاسياً، بخلتُ عليك بالمشاعر، بأقل الأشياء، أعرف أنكِ حاولتِ مراراً و تكراراً و تحطمت علي أسواري أحلامك مرة بعد الأخري. و لكنك لا تعرفين لما أصبحت ذلك الوحش الذي كُنت عليه،

obeikandl.com

لربما تعذرينني.

- أخبرني، أما قد كسرنا الاتفاق ؟

قالتها مبتسمةً ببراءة ..

- حسناً، سوف أخبرك قصتي..منذ عشر سنوات، كنت أعمل شرطياً ضمن قوات مكافحة الإرهاب، و بالأخصِ في قسم تفكيك المتفجرات و القنابل المفخخة، كنت شرطياً ناجحاً للغاية، ترقيت عاماً بعد عام، وأحبطت الكثير من المحاولات الارهابية في بلدي وقتها. و في أحد الأيام جاءنا بلاغ بأن هناك قنبلة موقوتة في إحدي مدارس الأطفال، وصلنا إلي هناك في أسرع وقت، و قمنا باخلاء المدرسة و جميع ما حولها من أبنية، و لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة. وجدنا في أحد الفصول مُعلمة و طفلة مقيدتين بإحكامٍ شديدٍ و موصولتين بالقنبلة، و كانت القنبلة من النوع شديد الحساسية للحركة، و لم يتبق إلا دقيقتين علي الإنفجار، وجدتني في مأزقٍ شديد، لا يمكن فك المرأة و الطفلة من دون تفعيل القنبلة، و لا توجد حلول أخري غير تعطيل القنبلة. قمنا باخلاء جميع الشرطيين من المكان و لم يتبق غيري أنا و شرطي آخر. تبقت ثلاثون ثانية علي انفجار القنبلة و كان أمامي سلكين لتفكيك القنبلة..أحدهما أحمر و الآخر أزرق، كنت أعرف أن عليّ أن أقطع السلك الأحمر، و لكن شيئاً ما بداخلي كان يقول العكس. تبقت عشرون ثانية و كنت أنقل بصري بين السلكين

و بين نظرات الطفلة و المرأة المرتعبتين، و اتخذت قراري و قطعت السلك الأحمر أخيراً، و لكن مؤقِت القنبلة لم يتوقف، ١٠ ٩ ٨ ..كان مستمراً في العد التنازلي! كنت أنظر في ذهول الي المرأة و الطفلة حينما وجدت الشرطي الآخر يصرخ بي ويحملني قافزاً بي من النافذة، خمس ثوان مرت كأنها الدهر..! قفزنا من النافذة رغماً عني، كنت أتابع نظرات المرأة و الطفلة المستنجدتين بي في ذهول! و إنفجرت القنبلة في قوة، و نسفت ذلك الفصل بالكامل و أطاحت بي أنا و زميلي ما يقرب من عشرة أمتار، و لكن لم تُصبنا إلا بعض الخدوش و الكدمات البسيطة. عرفت بعد ذلك أن ذلك الإرهابي الحقير قد بدل ألوان الأسلاك، و لذلك إخترتُ السلك الخطأ دون أن أعلم. قررت بعدها أن أستقيل..و أترك الخدمة، و أن أهاجر إلي بلدٍ آخر. كان والدي قد توفي تاركاً لي ثروة ضخمة و عدد من الشركات و العقارات، بعتُ كل شيء و إشتريت عدداً من الأسهم هي التي أعيش من ربحها الآن، نَمَت لدي بعد ذلك عقدة بسبب ألوان الأسلاك و قررت أن أعيش حياتي بالأبيض و الأسود. وقررت الابتعاد عن أي شخص حتي لا أؤذيه ..أو أتسبب في موته، و عشت بهذه الطريقة عشر سنوات كاملة حتي قابلتك، و تعرفين الباقي.

- هل تسامحيني علي ما فعلته بك

قالها و هو يمسح الدموع التي غسلت وجهه، كان ينظر إليها مستعطفاً. كانت تنظر إلي عينيه.لم تفارقها تلك الابتسامة،و لكنها لم تُجبه.

- سكارلت ..سكارلت !

نظر إليها في ذهول، كانت عيناها قد فقدت ذلك البريق الذي تحويه.

إقترب منها و حاول هزَّ رأسها :

- سكارلت ! أجيبيني أرجوكِ ..قولي أنكِ سامحتني ..سكارلت!

تحشرج صوته حتي صار أشبه إلي النحيب ..

- سكارلت، أنا آسف، سأرتدي ربطة عنقي الحمراء..سكارلت! سأهديكِ وروداً حمراء ..سكارلت !

أخذ يصرخ بإسمها إلي أن دخل طاقم العاملين بالمستشفي و أزاحوه بالقوة عنها، فسقط علي ركبتيه بجانب السرير ممسكاً بملاءته، يبكي بإسمها و هو يركل الأرض في هستيريا شديدة.

وضع أحد الأطباء إصبعيه علي يديها ثُمَّ هزَّ رأسه نفياً ناظراً إلي إحدي الممرضات فقامت بخلع الأجهزة و المحاليل المتصلة بسكارلت ثُمَّ عدّلت من وضعها في السرير و شدت الغطاء علي وجهها ..وجه سكارلت ..

obeikandl.com

بعد مرور ثلاث سنوات ..

في أحد الأحياء الراقية بباريس ..

مرّت سيارة سوداء في هدوء حتي توقفت أمام أحد المنازل ..

غادرها رجل يرتدي بدلة سوداء ذات ربطة عنق حمراء و يضع نظارة شمسية علي عينيه..

حتي دخل إلي ذلك المنزل في سرعه..

من داخل إحدي نوافذ البيت المقابل كانت هناك إمرأة تراقب الوضع في فضولٍ بحت ..ثُمَّ صاحت :

- بول ! تعال !
- ماذا هنالك يا صوفي ؟
- ما قصة ذلك الرجل ؟
- آه تقصدين المدعو آدم ؟ ، إنه مخبول، أتعرفين أن بيته بالكامل بالأبيض و الأسود... و الأحمر ؟!

obeikandl.com

صندوق زجاج

لا يدري لما يشعر دائماً أنه يشاهد الحياة من داخل صندوق زجاجي..

كأنه يشاهد كل شيء ولكنه لا يستطيع لمسه أوالحصول عليه أو مجرد الإقتراب منه.

هو يعلم أن ذلك ليس زهداً في الحياه، و ليس كرهاً فيها بلا شك.

هو فقط يشعر أنه مقيد اليدين أمام كل ذلك العالم أمامه.

كان يتابع ذلك المشهد الدائر حوله في صمتٍ تام.

حديقة واسعه يجلس بها العشرات من الناس مستمتعين بدفء الشمس و هو شيء نادر في شهر يناير.

تنقلت عيناه في كل ركن من أركان الحديقة، و لم تتغير حدة ملامحه أو تعبيرات وجهه، لا إعجاب، لا غضب، لا إنبهار ولا سعاده ولا حزن أيضاً !

حتي حينما وقعت عيناه علي تلك الفتاه الجميله في أقصي اليسار.

تركتها عيناه و ذهبت إلي أقصي يمين الحديقة.

obeikandi.com

كانت هناك مجموعه من الأطفال الكبار أو المراهقين الصغار،هم فقط في ذلك السن، يلعبون كرة القدم في مساحة ضيقة و يبدو أنهم مستمتعين بذلك بغض النظر عن السباب وكمية الشتائم المتبادلة بينهم.

وفي كل مرة ينجح فرد في تسجيل هدف يحتفل فريقه و كأنما قد فاز للتو بكأس العالم.. ! و تستمر المباراة ما بين تبادل الأهداف و الشتائم، لا تدري أيهما أكثر !

هو لا يتذكر أنه كان طرفاً في مباراة كرة قدم من قبل..!

ليس كمهاجم أو مدافع أو حارس مرمي، ليس حتي كأحد الحكام..!

هو لم يلمس أية كرة من قبل ولو عن طريق الصدفة..!

ثُمَّ هل يستطيع اللعب أصلاً ؟!!

******

انتقل بعينيه إلي ناحية أخري من الحديقة، وجد تلك العائلة تتناول إفطارها، أب و أم و ثلاثة أطفال، بنتان و ولد.

تبدوا عليهم علامات السعادة، والجوع أيضاً، لأن كمية الشطائر اللي تناولوها حتي الآن تكفي لإشباع الصومال بأكملها.

قال الأب شيئاً و ضحكوا هم لما قاله، يبدو أنه ألقي نكتة أو قال شيئاً طريفاً.

مرّت الدقائق و مازالوا علي ذلك الحال..شطائر و ضحكات ..و المزيد من الشطائر و الضحكات.

لا يتذكر متي كانت آخر مرة خرج فيها مع عائلته..! أو ضحك فيها معهم!

لا يتذكر حتي ان كانوا جلسوا معاً من قبل ليتناولوا الافطار أو يشاهدوا التلفاز! و هل لديه أصلاً عائلة ؟!

******

انتقل ببصره الي ذلك الشاب الذي يجلس حاملاً غيتاراً يعزف عليه و يغني و حوله عدد من أصدقائه، يصفقون و يغنون معه، تبدأ أغنية و تنتهي، لتبدأ غيرها.

يشاهد و يتأمل، لماذا لم يكن له أصدقاء كهؤلاء من قبل ؟

لماذا لم يعزف من قبل علي غيتار أو أي آلةٍ أخري ؟

لماذا لم يغنِ من قبل؟ و هل يستطيع الغناء أصلاً ؟

******

انتقل ببصره الي شاب و فتاه يجلسان في ركنٍ من أركان الحديقة، يتهامسان ..يتضاحكان ..يتداعبان، في عيونهما أشياء يعجز الكلام عن

obeikandl.com

وصفها، تتشابك أيديهما في خجل.

ترمي برأسها في دلالٍ علي كتفه،فيداعب شعرها في رقة، و يذوب كل منهما في الآخر.

يتساءل هو ما الذي يربط بينهما ؟ و لما لم يفعل مثلهما من قبل ؟

أتلك هي المشاعر التي يسمع الجميع يتحدثون عنها ؟، أذلك هو الحُب ؟ هو العشق ؟ لماذا لم يحب من قبل ؟ لماذا لم يعشق ؟

و اذا كان لكل شخص شخصٌ آخر يكمله ...فأين هي نصفه الآخر ؟

و هل يستطيع أصلاً أن يُحب ؟

أسئلة كثيرة عصفت بعقله دون أن يعرف لها اجابة.

عادت إليه تلك الفكرة مرة أخري.

لماذا يشعر دائماً أنه يشاهد العالم من داخل صندوق زجاجي، لماذا؟! لماذا ؟

شعر بألم في ذراعه الأيسر، حاول أن يمسكه بيده اليمني فلم يستطع..

حاول أن يدير رأسه فلم يستطع، تألم و لم يستطع حتي أن يغمض عينيه.

- عاجبك كدة ؟ أديكِ خلعتِ دراعه...إتصرفي و ركبيه بقي قبل

obeikandl.com

ما ييجي صاحب المحل و يخرب بيتنا إحنا الجوز !

- يوه..طيب طيب ..و إنتِ اطلعي لمعي الإزاز من برة !

خرجت الفتاة الأخري لتنظف واجهة زجاجية كبيرة ..

رجعت خطوتين إلي الوراء ناظرة إلي تلك الواجهة الزجاجية التي قد لمعتها للتو، يظهر من ورائها ذلك المانيكان الذي إنخلع ذراعه منذُ قليل.

ثُمَّ ترفع الفتاة عينيها إلي تلك اللافتة التي تعلو الواجهة الزجاجية.

لافتة كبيرة تتوسطها جملة " بوتيك ساندي "....

obeikandl.com

obeikandl.com

سوق عذاب البشر

كانت الشمس علي وشك أن تودع تلك المدينة الغارقة في الصمت، ليبدأ ليلٌ آخر من ليالِ المعاناة الأبدية.

حينما إستيقظ ذلك الشاب من غفوته، فتح عينيه ببطء متلفتاً حوله، ليجد نفسه ملقاً علي الأرض في أحد الأزقة الضيقة.

حاول النهوض و لكن خذلته قدماه، في بطءٍ شديد زحف إلي الخلف و جلس مستنداً الي أحد الحوائط.

تنبه الي ملابسة المضرجة بالدماء، فتسارعت نبضات قلبه.

حاول النهوض مرة أخري مستنداً الي صندوق قمامة بجانبه، و لكن اصطدمت يده بشيء،و سقطت رأس آدمية بين قدميه، جحظت عيناه في ذعر و فتح فمه محاولاً الصراخ حينما وجد يداً تكتم أنفاسه في قوة..

- إياك أن تصرخ ! سيجلبهم صُراخك إلي هنا ! الشمس أوشكت علي الغروب و سنصبح صيداً سهلاً لهم ! سأزيح يدي من علي فمك..و لكن اهدأ !

obeikandl.com

أزاح ذلك الغريب يده من علي فم الشاب ثم استطرد قائلاً :

- إسمي بروس و أنت ؟

لم يرَّد عليه الشاب و إنما رفس تلك الرأس القابعة بين قدميه مبعداً إياها عنه في ذعر ثم نظر إلي بروس قائلاً :

- إسمي يزيد، عن أي شيء كنت تتحدث ؟ قلت سنصبح صيداً لهم !

رفع بروس حاجبه في إستغراب قائلاً :

- هل فقدت ذاكرتك ؟ ألا تعلم أننا نعيش ذلك الخطر منذ خمس سنوات كاملة !

أجابه يزيد في عدم فهم :

- أيُ خطر ؟
- الزومبيز ! و تلك الرأس التي رفستها كانت لواحدٍ منهم ! قتلته أنا منذ قليل !
- زومبيز ! أتعني أولئك ال ...
- نعم ..الموتي الأحياء !
- و لكن ..و لكن كيف !

obeikandi.com

- ألا تتذكر ؟
- لا أتذكر أي شيء، إسمي فقط !
- غريبة ! لعلك تعرضت لحادث أو سقطت علي رأسك و أنت تركض هارباً من تلك الأشياء !
- إحتمال ! و لكن كيف حدث هذا ؟ أعني الزومبيز ..؟
- منذُ خمسِ سنوات، إجتاح الفيرس المدينة، و منها إلي المدن المجاورة ثُمَّ إلي العالم بأكمله، و لكن كيف بدأ و من أين أتي، لا أحد يعرف بالتحديد، البعض يقول إنه فيرس تمَّ صنعه عن طريق إحدي الشركات كسلاح بيولوجي و لكن تمَّ تهريبه و حدث ما حدث، و البعض الآخر يقول أنه أتي من الفضاء، مع إحدي المذنبات الساقطة علي الأرض.

ثُمَّ إستطرد مبتسماً بسخرية :

- و بعضهم يذهب إلي فرضية أنه عقاب من الرب !
- أعتقد أنني أميل الي الاحتمال ال...
- شششش ! أتسمع !

إنتبه الإثنان إلي صوتِ وقع أقدام تتحرك بتثاقل كأن صاحبها يزحف لا يمشي، كان الصوت آتياً من الشارع الرئيسي مقترباً من نهاية ذلك الزقاق.

إستطرد بروس هامساً :

- إنّه واحد منهم، سننتظر حتي يمُر، ثُمَّ نبدأ في التحرك في الجهة العكسية، ليختبيء كل منا خلف إحدي صناديق القمامة و لنتمني ألا يغير إتجاهه و يدخل الزقاق، هيا !

في صمت إختبئا الإثنان وراء صندوقي قمامة يواجه كل منهما الآخر، و إقترب وقع تلك الأقدام مصاحباً له صوت أنين ممتزج بالنواح.

كان الصوت رهيباً بحق، أغمض يزيد عينيه كاتماً أنفاسه في تربص.

مرَّت اللحظات عليهما ثقيلة كدهر، يخترق آذانهما صوت ذلك الأنين المخيف.

و بدا لهما أنه إقترب من عبور الزقاق حينا.....

- تششششت ...أبي ..تششت..أين أنت ؟

كان الصوت يأتي من جهاز إتصال لاسلكي بحزام بروس.

توقف ذلك الزومبي في مكانه، ثُمَّ عدَّل إتجاهه واقفاً علي أعتاب الزقاق، و أخذ يصرخ و يئن و لكن بصوت أعلي، ناظراً إلي الاشيء تتدلي عنقه علي كتفه بشكل كابوسي.

جحظت عينا يزيد و هو ينظر إلي بروس في ذعر، و لكن الآخر هز رأسه بطريقة ذات مغزي عرف منها يزيد أنه لا فائدة من الإختباء بعد الآن.

obeikandl.com

- أركض !

صرخ بروس في قوة ثم نهض يركض، أخرج جهازه اللاسلكي من حزامه و ضغط زراً..

- آشلي ! أنا هنا، لا تخافي،دقائق و أكون حاضراً
- حمداً لله أنك بخير، ظننتك...!
- لا، اطمئني و لكنني سأغلق قناة الاتصال الآن، وداعاً
- وداعاً أبي ..خُذ حذرُك !

كان يتحدث مع إبنته و هو يركض و بجانبه يركض يزيد هو الآخر، كانا قد أوشكا علي الوصول لنهاية الزقاق حينما توقف يزيد عن الركض فجأة

- انتظر !

قالها يزيد في جدية، فقلل بروس من سرعته و هو يركض ناظراً خلفه الي يزيد..

- هل أنت مجنون ! لما توقفت ! هيا أسرع!
- لا ..هناك خطب ما ! أنظر إلي الزومبي، لم يتحرك قيد أنملة ! لم يأت وراءنا ! و لكن أنينه وصرخاته تتعالي !

توقف بروس عن الركض لاهثاً و نظر إلي يزيد في ذهول قائلاً :

obeikandl.com

- يا إلهي ! إنه الزومبي الألفا !
- ماذا تعني ؟
- إنه قائد المجموعة !
- مجموعة ؟ أتعني !
- نعم، إنه يستدعي باقي المجموعة، إنه ينادي علي أقرانه، و هذا دليل أدعي لكي نسرع لا ننتظرهم هنا كالبلهاء و نصير وجبةً شهيةً لهم ! هيا !
- لا أظننا يجب أن نذهب في ذلك الاتجاه !
- لماذا ؟
- لأنهم جاءوا الينا

قالها يزيد ناظراً الي ما خلف بروس، فاستدار بروس في بطء ليجد عشرات الزومبيز تسد النهاية الأخري من الزقاق، و هتف يزيد :

- لقد خدعنا ! ..
- سدَّ ناحية و جعلهم يأتون من الناحية الأخري !؟
- بالضبط ! ماذا نفعل الآن !

تلفت بروس حوله حتي وقعت عيناه علي شيء.

obeikandl.com

- هيا بنا ..هناك سلم يتجه الي سطح تلك البناية !

كان سلم عمودي من الحديد الصديء، ركض الاثنان ناحيته.

نظر اليه بروس في قلق ثم التفت الي يزيد قائلاً :

- فلتصعد أنت أولاً و سأصعد خلفك.
- و لكن ...
- لا تقلق، إن حركتهم بطيئة كا تري، و لكن عليك أن تسرع أيضا!
- حسناً حسناً.

أمسك يزيد السلم ثُمَّ بدأ في الصعود، كان بروس بالأسفل ممسكاً بسيف صغير يشبه المنجل، يلتفت يميناً و يساراً إلي نهايتي الزقاق في تربص، و الزومبيز يقتربون أكثر فأكثر .

أتاه صوت يزيد بعد لحظات :

- هيا أسرع !

أغمد بروس سلاحه ثم بدأ في الصعود هو الآخر.

- بروس، هل سيتحملنا ذلك السلم الصديء !
- أتمني ذلك !
- ألن يأتوا وراءنا ؟

obeikandl.com

- لا، ليسوا بتلك اللياقة، صحيح إنهم ملاعين ولكن .....آآآآآآه

صرخ بروس في قوة ناظراً إلي الأسفل، كان ذلك الزومبي قد إرتقي درجتين من السلم و أمسك بإحدي أقدام بروس في قوة محاولاً شده إلي أسفل.

كان يزيد قد وصل الي سطح البناية و أخذ يراقب المشهد من أعلي..

- حاول أن تتخلص منه، أعدادهم قد بدأت في التزايد بالأسفل!

كان بروس يحاول أن التملص من يد الزومبي و لكن بلا فائدة.

و شعر أن قوة الجذب تزداد، لم يكن هناك مفر!

كان يزيد مازال يتابع ما يحدث في ذعرٍ حينما تخلي بروس عن الإمساك بالسلم بإحدي يديه ثُمَّ ....

>>بووووف>>

إستقرت رصاصة في منتصف جبهة الزومبي فأفلتت يده قدم بروس و سقط فوق أقرانه المتجمهرين أسفلَ السُلم.

لم يفهم يزيد ما حدث حتي وقع بصره علي ذلك المسدس كاتم الصوت الذي يمسكه بروس بيده التي تخلت عن إمساك السلم.

زفر في قوة صارخاً في بروس :

- هيا ..لقد بدأ غيره في الصعود !

obeikandl.com

- الملاعين! إنهم يتطورون جينياً ! في خلال سنتين سيقودون سفن فضاء !

وصل بروس أخيراً إلي سطحِ البناية، و من ورائه كان هناك إثنان من الزومبي.

أخرج فأساً كانت مربوطة وراء ظهره، ثُمَّ ضرب بها علي المسامير التي تربط السلم بالبناية، ضربة، إثنتين، ثلاث، ومازال السلم متصلاً، و اقترب ذلك الزومبي أكثر فأكثر.

وصل أول زومبي إلي قمة السلم و إمتدت يده تطال بروس حينما نجح الأخير في تحطيم المسامير و إنهار السلم ساقطاً إلي الأسفل حاملاً معه أولئك الزومبيز و هم يصرخون في وحشية.

إستندا الإثنان إلي سور البناية جالسين أرضاً في إرهاقٍ و تعبٍ شديدين.

- و الآن ..ماذا نفعل ؟

قالها يزيد و هو يمسح العرق الذي بلل جبهته و خصلةً من شعره.

- سنتجه الي المخبأ الآن، من حُسن حظنا إنه بالبناية المجاورة، و هي ملتصقة بتلك البناية.
- حسناً ،هيا بنا، أسرع قبل أن يفكروا في القدوم إلينا عن طريق سلم البناية الرئيسي.

- أنت محق، إنهم ملاعين !

لملمَ بروس أسلحته و عدّته ثُمَّ إلتفت إلي يزيد ماسكاً في يده سيفاً صغير.

- يجب أن تحمل سلاحاً، قد تحدث مفاجأة في أية لحظةو يجب أن نكون مستعدين !
- شكراً لك.

إبتسم له يزيد و هو يتناول السيف من يده.

أخرج بروس الهاتف اللاسلكي من حزامه و ضغط زراً :

- ألو، آشلي، نحن قادمان الآن، لا تقلقي.
- نحن ؟ من معك يا أبي..تششت ؟
- إنه أحد الناجين، وجدته منذ قليل.
- هل تأكدت تششش إنه غير مصاب بالعدوي يا أبي !؟
- نعم..لا تقلقي، انتظريني بعد قليل، وداعاً بنيتي.
- وداعاً أبي.

إنطلقا بروس و يزيد متجهين إلي المخبأ، حينما بدأ الليل في إسدالِ أستاره علي المدينة، عبرا السور إلي البناية المجاورة ثُمَّ إستقلا الدرج الداخلي، حتي وصلا إلي الدور الأرضي.

obeikandl.com

أضاء بروس كشّافاً صغيراً ثُمَّ نظر إلي يزيد قائلاً :

- ها نحن قد وصلنا.

تلفت يزيد حوله في عصبية فوجد مدخل البناية مسدوداً بقوائم خشبية و خلفه ثلاجة قديمة مقلوبة علي أحد جانبيها.

- لطيف ..وصلنا الي أين بالضبط ؟

قالها يزيد بإستهزاء واضح، فردَّ عليه بروس بهدوء :

- أنت عديمُ الصبر.

ثُمَّ إتجه خلف الدرج و صفّر مرتين، لم تمُر لحظات حتي إنفتح باب خشبي إلي الأسفل، و ظهرت من ورائه فتاة تبدو في العاشرة من عمرها.

- هيا يا يزيد !

قالها بروس و هو ينزل درج السرداب، و من ثَم وصل إلي قاعه ثُمَّ حمل إبنته و إحتضنها في قوة.

- آشلي، آسف، تأخرتُ عليكِ، ولكنني كدت أن أكون وليمة لتلك الأشياء.

وصل يزيد هو الآخر فنظرت إليه أشلي قاطبة حاجبيها في ريبة ثُمَّ إلتفتت إلي أبيها قائلةً :

obeikandi.com

- من هذا يا أبي ؟

إبتسم بروس إبتسامةً غامرة قائلاً :

- لقد وجدته منذ قليل، و يبدو أنه لا يتذكر أي شيء، إنه شخص لطيف، لا تقلقي، رحبي به!
- أهلاً يزيد.
- أهلاً آشلي، إسمك جميل.
- شكراً

حدجته بنظرة يملؤها الشك ثم استدارت تاركةً إياه.

- أعذرها، فهي لم تر أشخاصاً غيري منذ وفاة والدتها.

قالها بروس هامساً

- لا تقل أنها قُتلت علي أيدِ أولئك ال...
- للأسف.

قالها بروس مُغمض العينين، ثُمَّ إستطرد مشيراً إلي آشلي قائلاً :

- و لكنها بالكاد تتذكر أي شيء، كانت ما تزال في الرابعة.
- أنا آسف.

obeikandl.com

- لا عليك، إسمع ! سنقضي الليلة كما نحن ثُمَّ سنخرج في الساعات الأولي من الصباح للبحث عن الطعام، خرجت اليوم من أجل ذلك، و لكنني وجدتك و أنت تعرف الباقي طبعاً.
- ممم.نعم.
- فلتسترح.
- حسناً.

افترش ثلاثتهم الأرض و غطّوا في ثباتٍ عميق، ناسين أو متناسيين الأخطار المحدقة بهم بالخارج.

******

بعد مرور ساعتين ..انتفض يزيد من نومه تتسارع نبضات قلبه متلفتاً حوله في ذعر ثم مال علي بروس مربتاً عليه برفقٍ هامساً :

- بروس!بروس، إستيقظ، لدينا زائرون !

انتفض بروس في قوة شاهراً سيفه

- ماذا, أين، كيف ؟!
- شششش،إسمع، بالأعلي!

إنتبه بروس إلي وقع تلك الأقدام أعلي السرداب..بالدور الأرضي.

obeikandl.com

- يا إلهي ! لقد تبعونا إلي هنا كما توقعت.
- نعم !
- و كيف وصل بنا الغباء الي ترك باب سطح تلك البناية مفتوحاً! كيف !
- المهم الآن كيف سنقاتلهم، لابد أنهم بالعشرات
- و ليس لدي ما يكفي من السلاح، سيفان، فأس، بضع رصاصات و قنبلة ! ربما، ربما علينا فقط أن نصمت، حتي....
- حتي ماذا ؟ يعودوا أدراجهم ؟ لا أظن ذلك ..لقد تتبعوا رائحتنا حتي هنا و لن يلبثوا أن يكتشفوا أننا نرزح تحت أقدامهم ..
- إذاً، فيما تفكر ؟
- قلت أنَّ لديك قنبله، صحيح ؟
- نعم.
- حسناً ..أعطني اياها.

قالها في تحدٍ و هو ينظر إلي أعلي

- ماذا ستفعل !
- سوف أذهب في رحلة.

obeikandi.com

- لا، لن تفعل !
- صدقني، هذا هو الحل الوحيد، ثُمَّ أنني من تسببتُ لكم في كل هذا، و أنا وحدي من يجب أن يتحمل نتيجة أخطائه.
- و لكن ....

قالها بروس ناظراً الي يزيد في أسي.

- لست نادماً علي ما أنا مُقدم علي فعله، لديك ما تخسره ..أما أنا ، فليس لدي شيء..علي الأقل لا أتذكر ذلك.

, ثُمَّ نظر إلي آشلي النائمة و إبتسم مكملاً :

- إعتنِ بها جيداً، و الآن، حاول أن توقظها برفق و أن تسد أذنيها. سوف أخرج لهم، حينما يحدث الانفجار، لا يجب أن تنتظر كثيراً لأن صوت الانفجار سيجلُب المئاتَ منهم إلي هنا بلا شك.

إغرورقت عينا بروس بالدموع و إحتض يزيد في قوة باكياً :

- أنا آسف، شكراً لك، شكراً لك!

ربت يزيد علي كتفيّ بروس في رفقٍ ثُمَّ جثي علي ركبتيه ليقبل آشلي في رقةٍ حينما تهادت إلي مسامعه أصوات وقع الأقدام و الأنين التي تتزايد، أغمض عينيه و نهض ثُمَّ نظر إلي الأعلي قائلاً الي بروس :

- حان الوقت !

oberkanal.com

إتجه إلي الدرج المؤدي إلي أعلي و إستقله في هدوء، حتي وصل إلي قمته.

نظر إلي بروس نظرة أخيره، ثُمَّ نزع فتيل القنبله و فتح باب السرداب و قفز إلي الأعلي.

كان بروس قد أيقظ آشلي و إحتضنها في قوة و هي تتساءل :

- أين يزيد ؟

رد عليها بروس متألماً وهو مغمض العينين :

- إنه بالأعلي، يرحب ببعض الزائرين.

أتاه صوت يزيد بالأعلي ممتزجاً بأنين و صرخات الزومبيز الجائعة :

- مرحباً يا أوغاد !!!

ثُمَّ حدث الإنفجار ..

******

في أحد الأماكن الغير معلومة علي كوكب الأرض في عام ٢٠٥٠.

في إحدي الغرف الكبيرة في الطابق التسعين من إحدي ناطحات السحاب الشاهقة، إنطلقت صفارة إستعداد تبعها صوتٌ أنثوي يتحدث بطريقة آليه لطيفة :

obeikandi.com

- مرحباً بعودتكم ! !نرجوا أن تكونوا قد إستمتعتم بالتجربة و حصلتم علي أكبر قدر ممكن من المرح! أنتم في المحاكي رقم ٥ لتجربة الزومبيز ! شكراً لكم ..

كانت غرفة بيضاء سداسية الشكل، ذات إضاءة قوية تنبعث من جميع جوانبها، تتشكل أنسجة حوائطها علي هيئة شبيهة بهيئة بخلايا النحل.

بها سرير طبي يقع في منتصفها تماماً، بجانبه العديد من الأجهزة غريبة الشكل، يرقد علي السرير شاب يبدو في الثلاثينيات من عمره، تتصل برأسه و يديه و قدميه تلك الأجهزة عن طريق مجسات دقيقة تلامس جسده.

فتح عينيه في بطءٍ متلفتاً حوله،ثُمَّ نهض جالساً حينما إنفتح باب الغرفة و دلفت شابة ذات شعر أسود طويل، تضع عوينات طبية أنيقة، و ترتدي معطفاً أبيضاً فوق ملابسها، تحتضن بين يديها ملفاً له غلاف أزرق اللون.

اتجهت اليه مبتسمة :

- مرحباً بعودتك.
- شكراً دكتورة كارلا، و لكن ماذا تفعلين ؟ !

كانت قد بدأت في ضغظ عدداً من الأزرار في الأجهزة التي بجانبه، ثم بدأت في نزع تلك المجسات المتصلة بجسده، فأصدرت أزيزاً مميزاً.

obeikandl.com

- كا تري، أفصل عنك الأجهزة !
- و لكنني أريد خوضَ تجربة أخري ..!
- مستحيل، مؤشراتك الحيوية تشير إلي أن جسدك يكاد أن ينهار.تحتاج الي الراحة و بشدة.
- و لكن!
- قلت لك مستحيل، و الآن إنهض، يمكنك أن تخوض تجربةً أخري بعد يومين.

تركته مبتعدة ثُمَّ توقفت و إستدارت مواجهةً إياه

- لماذا تُنهي تجاربك كلها بالإنتحار ؟ هذه التجربة الثالثة و الستين التي تنهيها بالإنتحار !
- أنا لم أنتحر، لقد ضحيت بنفسي، و كان هذا هو الحل الوحيد و إلا سنهلك ثلاثتنا أو نتحول الي زومبيز !
- هناك مشاركون غيرك خاضوا التجربة و قاموا بإنهائها بدون أن يموت أحد.
- أنا لا أعرف بشأنهم و لكنني كنت مجبراً، ربما لو أدخلتني إلي المحاكي مرة أخري بدون أن أفقد الذاكرة لتفاديت أسباب فشلي في المرات السابقة !

obeikandl.com

- هذا غير ممكن، أنت تعرف القوانين جيداً، يجب أن تكون فاقداً للذاكرة حينما تخوض التجربة، كي تصبح ردات فعلك طبيعية مئة بالمئة، كأنك تعيشها بالفعل، و إلا فأين المتعة ؟
- كاد أن يلتهمني عشرات الزومبيز بالداخل و تتحدثين عن المتعة؟

قالها بإستهزاء ثُمَّ نهض من السرير متجهاً إلي خارج الغرفة ، فهتفت به :

- يزيد، حاول ألا تمُت في المرة القادمة.

لم يرُدَّ يزيد و إنما إبتسم لها في هدوء و ترك الغرفة ..

*****

بعد مرور يومين عاد يزيد إلي تلك البناية، كان يقف أمام ناطحة السحاب يتأملها، ثُمَّ دلف إلي الداخل، كانت قاعة كبيرة، إزدحمت بالآلاف من البشر، يصطفون في طوابير حول عدد من المصاعد، ينتظر كل منهم دوره في تلهُف.

في وسط القاعة كانت هناك لوحة إعلانية ضخمة تحمل صورة ثابتة لوجه فتاة ذات شعر أخضر مصفف بشكل غريب، ثُمَّ ما لبثَ أن أصبحت الصورة مفعمة بالحياة و أخذت تتحدث بذلك الصوت الأنثوي الآلي الذي عهده في غرفة المحاكي:

openkandi.com

- مرحباً بكم في ((سوق عذاب البشر)) ..هنا سوف تجدون آلاف آلاف التجارب المليئة بالمرح، الرعب، الإثارة، الحب، الغموض و العذاب نرجوا أن تحصلوا علي أكبر قدر من المتعة و أن تكرروا زيارتكم لنا من حينٍ إلي آخر، شكراً لكم !

ثُمَّ عادت الصورة إلي وضع الثبات مرة أخري.

إستقلَ أحد المصاعد مع عدد من الناس، كان المصعد الواحد يتحمل فوق المئة شخص، وصل بعد دقيقة إلي وجهته، الطابق التسعون.

خرج من المصعد و منه إلي غرفة الاستقبال التي كان يملؤها العشرات من الناس جالسين علي مقاعد الإنتظار.

إتجه إلي آلة غريبة في ركنٍ الغرفة، كانت تشبه إحدي ماكينات صرف و توزيع المياه الغازية و الشيبس، و لكن بدلاً من ذلك كان بها شاشة كبيرة تعمل باللمس، تُمكن المستخدم من اختيار التجربة التي يريد خوضها.

أخرج بطاقتة الإئتمانية و مررَّها في إحدي فتحات الماكينة ثُمَّ قام بعدة إختيارات و جلس علي أحد المقاعد منتظراً دوره هو الآخر .

*****

بعد نصف ساعة رآي الدكتورة كارلا قادمة من بعيد، محتضنة بين يديها ملفاً كبيراً له غلاف أزرق اللون.

و لكن إستوقفها أحد الأشخاص و أخذ في الحديث معها، ثُمَّ أخذا يتهامسان و يتبادلان الضحكات، بعد دقيقتين نظر ذلك الشخص في ساعته و ودّعها و مضي.

نظرت كارلا من بعيد إلي يزيد ثُمَّ إقتربت منه مبتسمة.

- مرحباً، كيف حالك اليوم ؟
- أنا بخير، و أنتِ ؟
- بخير، جاء دورك، و لكن لابد أن نجري عليك بعض الفحوصات، أنت تعرف الاجراءات الروتينية بالطبع.
- بالتأكيد

إتّجها الإثنان سوياً الي أحد الغرف ثُمَّ تمددَّ يزيد علي سرير بمنتصف الغرفة، ضغطت كارلا علي عددٍ من الأزرار في الأجهزة المقترنة بالسرير، ثُمَّ أخذت عدداً من المجسات و قامت بتوصيلها برأس و يديّ و قدميّ يزيد .

أصدرت الأجهزة أزيزاً متقطعاً، و بعد نصف دقيقة نظرت كارلا إلي يزيد قائلة :

- حسناً، وظائفك الحيوية جيدة، يمكنك خوض التجربة، و لكن لا أعلم لماذا اخترت هذه التجربة بالذات ، دائماً ما تختار تجارباً كابوسية!

obeikandl.com

- كل منا له إختياراته المفضلة.
- حسناً و لكن حاول ألا تمُت !
- مع من كنتِ تتحدثين ؟
- تقصد من؟ آه منذ قليل ؟
- نعم.
- إنه الدكتور فاريل، يعمل بنفس طاقمي.
- آه..حسناً، هلا بدأنا التجربة ؟
- حسناً، إستعد

قالتها كارلا ثُمَّ أخذت نفساً عميقاً و ضغطت أحد الأزرار ثُمَّ غادرت الغرفة.

إنطفأت كل أنوار الغرفة ثُمَّ إنطلقت صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي من جديد:

- إنتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة، و القواعد كما هي ، يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن! ليس لديك سلاح ، غذاء أو دواء، ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة! لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بإنهائها بنجاح أو بالموت! شكراً علي استماعكم للإرشادات! نرجوا أن تستمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح، أنتم في المحاكي

obeikandl.com

رقم٤ لأدغال الأمازون ! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة !

١٠ ..٩..٨..٧..٦..٥..٤..٣..٢..١..٠.....انطلاق ...!

******

إستيقظ يزيد و فتح عينيه ببطء، ليجد نفسه ممدداً علي أرضٍ عشبية، نهض جالساً، ناظراً إلي ما حوله، يشاهد تلك الأشجار العالية التي لا يطال بصره نهايتها، و أغصان النباتات ذات اللون الأخضر الداكن الملتفة علي بعضها موحية بالخطر، و ذلك البصيص من الضوء الذي يدخل علي استحياء من بين فروع و غصون النباتات المتشابكة و الأشجارالضخمة.

كان يسمع أصوات الطيور الاستوائية و يشتم تلك الروائح المطيرية.

- يا إلهي..ما الذي أتي بي الي هنا !

نهض واقفاً ثُمَّ أخذ يسير بحذرٍ مجتازاً الأشجار و الغصون غير مصدقٍ ما يري حوله.

بعد مُضي ساعتين و أكثر من السير وسط تلك الغابات توقف مستنداً الي إحدي الأشجار و أخذ يمسح العرق المتصبب علي جبينه.

- لابد أن أبحث عن مصدرٍ للماء، لابد أن هناك نهر قريب.

قاطع أفكاره صوت ذلك الفحيح الذي يأتي من يساره،كان يعرف مصدر ذلك الصوت، أدار رأسه ناحيته ببطءٍ شديد، كانت كوبرا فضية متوسطة

الحجم تتدلي من أحد فروع الأشجار و تستعد للهجوم عليه.

تسمّر في مكانه ناظراً اليها في هدوء، يعرف أن أي ردة فعل مفاجئة ستنتج عنها نهايته، فهذه الأفعي ليست من النوع الذي يلدغ بأنيابه، إنها من النوع الذي يبصق السم في عيون الضحية، هذا شيء جيد، لا يدري كيف يعرف معلومة كتلك، و لكنه فقط يعرف..شيء ما في ذاكرته المفقودة، في غريزته يخبره بذلك، يعرف أنها ستنفذ هجومها في أي وقت الآن، وكان عليه أن يفكر سريعاً ماذا سيفعل، وبعد لحظات كان قد قرر و بدأ التنفيذ بالفعل.

- هيا يا يزيد !

أغمض عينيه في قوة لكي لا يطالها السم، ثم إرتمي في سرعة إلي أحد الجوانب، وسقط أرضاً و هو يشعر بسم الأفعي يرتطم بجبهته، مسح ذلك السم بأحد أكمامه و هو مازال مغمض العينين، فتح عينيه ببطءٍ و تلفت فوجدها مازالت متدلية من نفس المكان منتظرة لتنفذ هجومها الثاني بعد أن فشل هجومها الأول.

كان جالساً علي الأرض قليل الحيلة، يعرف أنه من الصعب أن يفلت هذه المرة من هجومها الثاني، و لابد أنه سيكون أكثر شراسة من الهجوم الأول.

بدأت تتحرك ناحيته زاحفةً علي أحد الفروع، دون أن تُزيل بصرها من عليه، أخذت نبضات قلبه في التسارع، ينظر إلي تلك الأفعي في إستسلام.

obeikandl.com

مرت اللحظات و هي تقترب منه، وصلت الي أحد الأفرع فوق رأسه مباشرة، و كان الهرب هذه المرة مستحيلاً، يعرف أن لحظة الهجوم اقتربت، أغمض عينيه و كتم أنفاسه و....

شعر بشيء يسقط أرضاً بجانبه و صراخ حيوانٍ لا يدري كنهه، فتح عينيه في حذر فوجد تلك الأفعي تتلوي بين فكي نمس يقبض عليها في قوة، ظلت تتلوي حتي هدأت تماماً.

ركض ذلك النمس مبتعداً قابضاً علي جثة الأفعي بين فكيه، كأنها لعبة، بعد أن كانت منذ دقيقة فقط من أخطر أسلحة تلك الغابة.

تنهد يزيد في إرتياح غير مصدقٍ أنَّ ذلك النمس الصغير قد أنقذه للتو من تلك الكوبرا التي كادت أن ترسم ملامح نهايته ببشاعة.

******

- يجب أن أصنع سلاحاً، فلا أعتقد أن الكوبرا هي الخطر الوحيد بتلك الغابة.

بدأ من جديد في إجتياز الأشجار و الأغصان في حذر باحثاً عن أي شيء يصنع منه سلاحاً، مرّت الساعات دون جدوي، حتي وقع بصره علي عدد من أشجار الخيزران، عرف لحظتها أنه وجد ضالته، ذهب تجاهها و كسر أحد الجذوع ثم غادر تلك المنطقة.

- لابد أن أبحث الآن عن شيء حاد أنحت به طرف ذلك الجذع لأصنع منه نصلاً.

مرت الدقائق و هو يبحث و يبحث حتي وجد صخرةً حادة و نحت بها نصلاً في جذع الخيزران، صانعا منه رمُحاً حاداً، وبعد قليل بدأت الأمطار في الهطول بكثافة، مما زاد الأمر صعوبةً عليه.

إتجه إلي إحدي الأشجار و قطع ورقة كبيرة صانعاً منها إناءاً مؤقتاً أمسكه بيديه و إنتظر حتي تجمعت به مياه الأمطار و أخذ يرتوي منها.

- كاد الليل أن يَحل، و يبدو أن الأمطار لن تهدأ الليلة، يجب أن أختبيء حتي الصباح و بعدها أري ماذا سأفعل و كيف أغادر تلك الغابة!

بدأ يجمع بعض الفواكه و بعض الصخور و فروع أشجار جافة لم تطالها مياه الأمطار بعد، و بعد قليل كان قد وجد كهفاً اختبأ بداخله و أشعل ناراً و تمدد بجانبها.

مرت الساعات عليه ثقيلة مابين خوف و ترقب و هو يرتعد برداً، حاول أن يظل مستيقظاً قدر الإمكان حتي غالبه النعاس أخيراً.

كانت الشمس قد بدأت في إرسال أول خيوطها إلي تلك المنطقة حينما إستيقظ يزيد من نومه، نظر في شرودٍ إلي خارج الكهف محاولاً أن يتذكر ماذا أتي به الي هنا و لكن بلا فائدة.

openkandil.com

- يجب أن أجد مصدراً للماء، لا يجب أن أعتمد علي الأمطار، فربما لا تمطر اليوم!

خرج من كهفه حاملاً في يديه رمحه سائراً بلا وجهة محددة بحثاً عن الماء، و مرت الساعات تباعاً و مازال يسير في تلك الغابة يجتاز الأميال بحثاً عن الماء و لكن بلا جدوي.

توقف مستنداً إلي إحدي الأشجار ليستريح من عناء سيره طيلة النهار.

- لقد ابتعدتُ كثيراً عن الكهف..أين عساي أختبيء الآن؟ و لم أجد الماء حتي.

توقف عن التفكير و أخذ يستمع الي ذلك الصوت الذي تهادي الي مسامعه, إنه صوت ذلك الخرير المحبب الي النفس !

- الماء ! لابد أنه شلال أو شيء من هذا القبيل!

أخذ يركُض تجاه ذلك الصوت ركضاً حثيثاً و ذلك الصوت يتعاظم في أذنيه أكثر فأكثر، كان يشعر بإرتياح كبير و بدأ شبح إبتسامته في الظهور علي ملامحه حينما سمع صوتاً آخر آتٍ من خلفه، لم يكن صوتاً محبباً إلي النفس قط! كان صوت زمجرة مرعب، مرعب إلي أقصي حد!

تسمّر يزيد في مكانه متسارعةً أنفاسه، ثُمَّ إستدار ببطءٍ مواجهاً مصدر الصوت.

كان فهدٌ أسود..من أحد أنواع الفهود الصيادة، يقف متحفزاً يكشر عن أنيابه في شراسة، عرف يزيد أن المواجهة قادمة لا محالة، ولم يفكر كثيراً، فقام برمي ذلك الرمح تجاه الفهد في قوة و لكن الفهد كان أسرع منه بمراحل فقفز جانباً متفادياً الرمح في رشاقة خارقة، ثُمَّ زمجر ثانياً و إنطلق!

إنطلق ناحية يزيد الذي ما إن رآي الرمح يخطيء هدفه حتي ركض بأقصي ما عنده من سرعه، كان يعرف أنه يركض في سباق خاسر وعاجلاً أو آجلاً سيفتك به هذا الفهد و يمزقه شر ممزقٍ، لذلك كان يركض باتجاه شيء محدد، ظل يجري و يقفز و يتعثر حتي وصل إلي وجهته، إلي حافة تلك الغابة، كان جُرف عالٍ يطّل علي النهر من إرتفاعٍ شاهق، تحيط به عدد من الشلالات.

توقف و من خلفه توقف ذلك الفهد مستعداً للهجوم الأخير.

نقل يزيد بصره بين الفهد و بين النهر في تردد، و لكن الفهد لم يعطه الفرصة ليتردد فبدأ في الركض تجاهه من جديد مما جعل يزيد يركض لا إرادياً ناحية الجرف و قفز! قفز من ذلك الارتفاع الشاهق الي النهر!

و مرّت لحظات حتي وصل إلي الهاوية، إلي سطحِ ذلك النهر، وحدث الإرتطام !

إستفاق يزيد علي صوت تلك الصفارة تبعها ذلك الصوت الأنثوي يتحدث بطريقة آليه لطيفة :

- مرحباً بعودتكم ! نرجوا أن تكونوا قد إستمتعتم بالتجربة وحصلتم علي أكبر قدر ممكن من المرح! أنتم في المحاكي رقم ٤ لتجربة الأمازون ! شكراً لكم.
- لا لا ! ليس مجدداً كيف !

قالها يزيد غاضباً و هو ينزع تلك المجسات عنه مصدرةً ذلك الأزيز المميز، ثُمَّ نهض مغادراً السرير حينما دلفت إلي الغرفة الدكتورة كارلا.

- إهدأ، لقد...
- أهدأ.! لقد مِت مجدداً ! كيف يمكن أن تشرحي ذلك !؟
- ببساطة أنت انتحرت مجدداً دون أن تقصد!
- كيف!
- أولاً, لقد قفزت من ارتفاع شاهق للغاية!

قاطعها يزيد في اصرار :

- في الماء، قفزت في الماء !
- تقنياً ليس هذا ما حدث، صحيح أنَّك قفزت في الماء، ولكنك سقطت فوق صخورٍ حادة، تقع مباشرةً تحت سطح الماء.
- اللعنة ! و كيف لي أن أعرف!

obeikandl.com

- يزيد أنت ذكي كفاية لتعرف أين تسقط، كان يجب عليك أن تترك مسافة كافية بينك و بين حافة ذلك الجرف و لكنك إخترت أن تسقط تحته مباشرة و كأنك ترسل نفسك للموت !
- و لكن أنا...

<<دكتورة كارلا>>

قاطعهما ذلك الصوت الآتِ من خلف الدكتورة كارلا، إستدارت لتجده فاريل

- آه، دكتور فاريل..ماذا هنالك ؟

قالتها و هي تقترب منه، فردَّ عليها فاريل هامساً :

- فكرتُ أن أدعوكِ للغداء اليوم.
- ممم، لدي الكثير من الأعمال ولا أعتقد أنني...
- إذاً فليكن عشاءاً، ما رأيك ؟

ضحكت في رقة قائلةً :

- حسنا، فليكن.
- رائع، سوف أقلك من البيت في الثامنة، هل يناسبكِ ذلك ؟
- نعم، ممتاز!

obeikandl.com

- حسناً، ألقاكِ لاحقاً.
- وداعاً

قالتها و إستدارت متجهةً ليزيد الذي كان يسترق السمع لتلك المحادثة.

تنحنحت قائلةً له :

- يجب عليك أن تستريح، لا تجارب أخري لبقية اليوم!
- لا، أريد خوض تجربةً أخري.
- لماذا تعشق تعذيب نفسك ! جميع من يأتوا هنا يخوضون تجربة واحدة ربما كل شهر أو أسبوع بالكثير! وأنت تخوض تجربتين و ثلاث كل يوم !
- هنا أجد متعتي!
- في العذاب ؟!
- ربما!
- و أية تجربة تريد خوضها الآن؟
- ستعرفين بعد قليل..هيا بنا إلي غرفة أخري..

في غرفة أخري مشابهة تماماً للغرفة السابقة، تمدد يزيد علي ذلك السرير،

obeikandl.com

متصلاً بتلك الأجهزة عن طريق المجسات الملامسة لجسده، ضغطت كارلا عدداً من الأزرار ثُمَّ نظرت له قائلةً :

- حسناً، إستعد، و أرجوك، حاول أن تخرج سليماً من تلك التجربة.
- و كيف لي أن أتذكر نصائحك !
- يجب أن تتذكر ذلك في اللاوعي، حاول!

قالتها كارلا ثُمَّ ضغطت أحد الأزرار و غادرت الغرفة.

انطفأت كل أنوار الغرفة ثُمَّ إنطلقت صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي من جديد:

- إنتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة، و القواعد كما هي، يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن، ليس لديك سلاح، غذاء أو دواء ! ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة، لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بإنهائها بنجاح أو بالموت! شكراً علي إستماعكم للإرشادات! نرجوا أن تسمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح ! أنتم في المحاكي رقم ٢ لتجربة الغرباء! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة. ١٠ ..٩..٨..٧..٦..٥..٤..٣..٢..١..٠.....إنطلاق ...!

فتح يزيد عينيه في بطء ليجد نفساً مستلقياً علي مقعدٍ وثير أمامه تلفاز

obeikandl.com

إرساله يغالبه التشويش، ثُمَّ ظهر ذلك المُراسل علي الشاشة.

- يبدو أن أجزاءاً كبيرة من المدينة قد دُمرت بالكامل، و لا أحد يعرف متي سوف تصل قوات الجيش بالتحديد! يذكر أن الهجوم قد حدث منذ ساعة ونصف، و يبدو أن ذلك الهجوم قد تمَّ علي العالم بأكمله، و تقدر الخسائر الأولية حتي الآن بعشرين مليون شخص! و لكننا لا نعرف الأعداد بالتحديد لأن كل وسائل الاتصالات انقطعت و لم يتبق لنا إلا...

أصابته حِزمة حمراء من الليزر حولته في أقل من لحظة الي حفنة من الرماد، فلم يستطع ذلك المسكين إكمال جملته..ثم سقطت تلك الكاميرا أرضاً وسط أصوات صراخ بشرية و أصوات أخري غير بشرية!

توقف الإرسال و ظهرت علي الشاشة تلك الخلفية المعهودة ذات السبع ألوان تتوسطها جملة " لا إشارة".

نظر يزيد إلي التلفاز في ذهول، ثمَّ نهض متلفتاً حوله.

كان المنزل مظلماً تماماً فيما عدا ذلك الوهج الذي يأتي من الطابق الثاني.

- هل من أحدٍ بالمنزل ؟!

تحرك بحذرٍ مستقلاً ذلك السلم صاعداً إلي الطابق العلوي، إتجه في هدوء إلي تلك الغرفة التي يأتي منها الوهج، فتح بابها في بطءٍ شديد، و لكنه وجد الوهج آتياً من تلفاز مفتوح في ركنٍ من أركان الغرفة.

تنفس الصعداء ثُمَّ بدأ البحث في جميع الغرف و لكنه لم يجد أحداً قطّ.

كان قد وصل إلي المطبخ حينما سمع ذلك الصراخ الأنثوي يأتي من الخارج، إستقل السلم الخارجي للمطبخ و عبرَ الطريق راكضاً إلي البيت المقابل و هو مازال يسمع ذلك الصراخ!

وصل إلي باب المنزل و أخذ يدقّ علي الباب بقوة، لم ينتظر كثيراً ليفكر، رجع الي الوراء خطوتين ثُمَّ إنطلق ناحية الباب بكتفه!

إنفتح الباب علي أثر تلك الضربة..تلفت حوله فلم يجد أحداً..

سمع صوتاً يأتي من الطابق العلوي فإستقلّ الدرج مسرعاً إلي مصدر الصوت، إتجه إلي الغرفة التي يأتي منها الصوت فوجد إمرأة تجلس علي الأرض محتضنة طفلاً صغيراً في رعب، إنتبهت إلي وجود يزيد فبكت قائلة:

- لقد أخذوه!
- من؟ أخذوا من !؟
- زوجي، أخذوا زوجي!

ثُمَّ إنهارت في البكاء، فإقترب منها يزيد و جثا علي ركبتيهِ بجانبها

- سيدتي إهدئي من فضلك، من أخذه ؟

نظرت له بكل رعب الدنيا مشيرة بيدها إلي النافذة :

- الغرباء..

******

بعد قليل كانا يجلسان في المطبخ بالطابق السفلي، كان يزيد يحاول تهدئة السيدة، فصبَّ لها كوباً من الماء و أعطاه لها.

- ما إسمكِ ؟
- ناتالي، و أنت ؟
- يزيد، و هذا إبنكِ ؟ صحيح ؟
- نعم..إسمُه كريس.

إبتسم يزيد ناظراً إلي الطفل الذي كان يجلس بجانب أمه يمسك بيديه مسدس لعبة ثُمَّ إستطرد قائلاً:

- و الآن..اهدئي و أخبريني ماذا حدث بالضبط.
- لا أدري، فالأمر حدث بسرعه، كنا نجلس مختبئين في الغرفة بعد أن عرفنا ما حدث من هجوم علي الأرض،ثم، ثم انتشر ذلك الضوء الساطع في الغرفة بأكملها و رأيت زوجي يطير في الهواء مسحوباً خارج النافذة، ثُمَّ إختفي الضوء.

سألها يزيد في جدّية :

obeikandl.com

- هجوم علي الأرض ؟ ماذا تعنين ؟
- ألا تعرف ! الغرباء!

بدت علي يزيد الحيرة فإستطردت ناتالي قائلة :

- الغرباء،الفضائيون، أصحاب الأطباق الطائرة !

ثُمَّ أشارت بيدها إلي السماء ..

- يا إلهي! مستحيل ..!
- لقد حدث الهجوم منذُ ساعتين تقريبا، هل كنت نائماً أم ماذا؟
- شيء من هذا القبيل، لقد إستيقظت لأجد نفسي في البيت المجاور لكم ولا أتذكر إلاّ إسمي.
- هذا شيء غريب!
- ألا تتذكرين رؤيتي في الحي ؟!
- لا للأسف قد إنتقلنا إلي هنا بالأمسِ فقط، ثُمَّ أن...
- صِه ..أتسمعين ذلك الصوت ! لم أسمع مثِله من قبل!
- يا إلهي، لقد عادوا ! إنه صوت مركباتهم الفضائية!
- فلنختبيء، إطفئي كل الأنوار، لكي لا تجتذبهم إلي هنا!
- حسناً

obeikandl.com

أطفئا يزيد و ناتالي جميع أضواء المنزل ثُمَّ قبِعا في ركن من أركان المطبخ خلف طاولة كبيرة في ترقب.

شعر يزيد بشيء يقترب من نافذة المطبخ فهز رأسه مشيراً إلي ناتالي في صمت ناحية النافذة.

بلعت ناتالي ريقها في صعوبة محتضنةً إبنها في قوة و كتمت أنفاسها.

إقترب ذلك الصوت أكثر فأكثر من النافذة ثم سطع فجأة وهج شديد يعمي الأبصار.

مال يزيد علي أذن ناتالي هامساً :

- لا تخافي، إنهم يقومون ببحثٍ عشوائي علي الأرجح، طالما نحن صامتون فلا تقلقي، سوف يغادرون بعد لحظ....
- ضوء !!! ماما !!! ضوء !!

قالها كريس صائحاً في سرور.

نظر يزيد الي ناتالي في رعب :

- يا إلهي !لقد كشفوا أمرنا ! يجب أن نتحرك !

نهض يزيد ممسكاً بيد ناتالي التي تحمل كريس بين يديها ..

- ناتالي !هيا !

obeikandl.com

قالها يزيد في قوة ناظراً الي ناتالي التي تجمدت في مكانها كتمثال محدقةً في رعب إلي شيءٍ خلف يزيد، بلع يزيد ريقه ناظراً لها في إستسلام.

- إنه ورائي، أليس كذلك ؟

هزت ناتالي رأسها بالإيجاب، فإستدار يزيد في بطء مواجهاً ما يقبع خلفه ,

وقع بصره علي شيءٍ من أقبح و أبشع ما رآي !

كان كائناً هزيلاً يمتلك هيكلاً يشبه العقارب في ملمسه، يقف علي قدمين رفيعتين، وله ذراعين طويلتين تنتهيان، بيدين بكلٍ منهما ثلاثة أصابع، رأسه بيضاوية الشكل مسحوبة للوراء، تتوسطهما عينان تتشحان بالسواد ، يسيل من بين أشداقه ذلك اللعاب المقزز، كان يصدر أصواتاً بشعة مقترباً من يزيد.

رجع يزيد الي الوراء خطوات، متلفتاً حوله، يحاول البحث عن أي سلاح، وقع بصره علي سكينٍ بجانبه علي الطاوله، فتناوله و إنقض علي الكائن، و لكن الأخير أطاح به جانباً في قوة و أكمل سيره ناحية ناتالي و إبنها.

اقترب ذلك الكائن منهما و فتح فكه متأهباً للفتك بهما، أغلقت ناتالي عينيها و إحتضنت كريس في قوة، حينما سمعت ذلك الكائن يتأوه و يصرخ بشدة في مزيج من الفحيح و الزمجرة !

فتحت عينيها لتجد ذلك الكائن يمسك وجهه في ألم و إبنها يضغط زناد

مسدسه مرة بعد مرة و هو يضحك في براءة لا متناهية !

- الماء !!..إنهم يتأثرون بالماء !

قالها يزيد و هو ينهض من سقطته،ثُمَّ إتجه مسرعاً إلي الثلاجة و إلتقط زجاجة مياه فتحها في سرعه ثُمَّ ضغطها بإتجاه الكائن الذي أخذ يتلوي في ألم و تتساقط أجزاء من جسده ذائبة و كأن للماء عليه نفس تأثير الحمض علي البشر !

أخذ ذلك الكائن يترنح و يتخبط في ألم حتي سقط جثةً هامدة تماماً علي الأرض.

إقترب من المنزل المزيد من تلك الأصوات المشابهة لصوت الكائن ..فصرخ يزيد في ناتالي قائلاً :

- هيا ..إملئي زجاجات مياه بقدر ما تستطيعين و إجمعي بعض الطعام المعلب و لنهرب من هنا !
- إلي أين !
- إلي أقرب بحرٍ، نهرٍ، أو حتي بحيرة !!
- هناك ميناء علي بعد مئتي ياردة تقريباً من هنا!
- هذا جيد. هيا بنا !

بعد ملء الكثير من زجاجات المياه، إنطلق ثلاثتهم مغادرين المنزل.

obeikandl.com

- ناتالي ..هل لديكِ سيارة ؟
- نعم..هاهي!

أشارت الي سيارة حمراء رياضيه متجهةً إليها، تبعها يزيد و عبئا السيارة بزجاجات المياه ثُمَّ انطلقا.

بعد خمس دقائق قابلتهما إحدي مدرعات الجيش فاستوقفاها و غادر يزيد السيارة متجهاً الي قائدها.

- إنتظر إنتظر !

كان يتحدث بأنفاس متقطعة ..ثُمَّ إستطرد قائلاً :

- إنهم يتأثرون بالماء، يذوبون، يتآكلون منه كأنه حمض! عليكم بالماء، و ستجهزون علي أولئك الملاعين!
- هل أنت متأكد ؟

قالها ذلك الضابط ممسكاً بهاتفٍ لاسلكي.

- لقد قتلنا واحداً منهم للتو بمسدس مياه !
- شكراً لك ..”إلي جميع الوحدات ..جاءتنا الآن معلومات أن تلك الكائنات تهلك عن طريق الماء، الماء هو الحل الوحيد لقتلهم، عليكم بتجهيز سيارات المطافيء حالاً، إلي جميع الوحدات ..جاءتنا الآن...“

obeikandl.com

تركه يزيد عائداً إلي السيارة، و إستقلها مبتسماً لناتالي ثُمَّ إنطلق بالسيارة مجدداً، وبعد دقائق كانا قد وصلا إلي ذلك الميناء الذي خلا تماماً من البشر و من تلك الكائنات أيضاً.

- إنتظري في السيارة أنتِ و كريس و خذا حذركما، سأبحث لنا عن زورقٍ سريع أو قارب لكي نهرب من هنا.
- حسناً، خذ حذرك.

مرت دقائق حتي ظهر يزيد يركض من بعيد علي وجهه علامات السرور.

- هيا، لقد وجدت قارباً فارهاً، به الكثير من المأكولات و المشروبات، و الكثير من الوقود أيضاً !!

اتجه ثلاثتهم الي القارب و انطلقوا في سرعة في عرض البحر، و في الأفق البعيد تتساقط أمامهم الأطباق الطائرة أرضاً في إنهزامٍ محدثة انفجارات هائلة!

- أنظري ماما، ألعاب نارية !

قالها كريس في براءة لا متناهية ...

obeikandi.com

فتح يزيد عينيه في بطء مبتسما، و لكن سرعان ما تلاشت إبتسامته حينما وجد نفسه في غرفةٍ غير التي كان بها لحظة دخوله التجربة، كانت غرفة بيضاء صغيرة، خاليه من أي شيء، فقط السرير الذي كان راقداً عليه، حاول النهوض فلم يستطع، وجد جسده مقيداً إلي السرير في إحكام، رسغيه، قدميه، جزعه، وحتي رأسه، كان جسده مقيدٌ بالكامل !

أخذ يصرخ غاضباً :

- أين أنا ! كيف تفعلون هذا بي ! أنا عميل مميز لديكم ! دكتورة كارلا ! ..كارلا !!! إجعليهم يحلوا وثاقي !! دكتورة كارلا ! أين أنتِ!؟ لقد أنهيتُ التجربة بنجاح، لم أمت دكتورة كارلا، لقد عشتُ, بل أنقذت معي سيدة و طفلها أيضاً، بل أنقذت العالم بأسره !

مزيد من الصراخ و المزيد من النداءات التي لم يرد عليها أحد، لم يسمع إلا تردد صداه في الغرفة !

بعد دقائق، إنفتح الباب في هدوء و دلف شخص يبدو في الخمسينيات من عمره، قصير الشعر أشيبه، يرتدي عوينات طبية،يحمل في يديه مقعداً خشبياً و ملفاً له غلافٌ أزرق.

دلف الي الغرفة و أغلق الباب خلفه، وضع المقعد في مواجهة السرير و جلس عليه.

- كيف حالك د.يزيد ؟

- دكتور ؟ أين انا !
- ألا تتذكر ؟
- أتذكر ماذا ؟ أهذه تجربة أخري ؟
- ممم ..كما توقعت ..

قالها ذلك الشخص مغمغماً في إحباط.

- قل لي ماذا يحدث !

قالها يزيد و هو يحاول أن يتملص من قيوده بلا فائدة ..

- حسناً، إهدأ و سأخبرك كل شيء !
- لن أهدأ قبل أن تحل وثاقي !
- آسف،لا أستطيع، و لكن أعدك أن أحل وثاقك بعد أن أخبرك بما تريد أن تعرفه.

زمجر يزيد في غضب ثُمَّ هدأ قائلاً :

- حسناً ..أخبرني ..أين أنا..و ما قصة دكتور تلك !؟
- أنت الدكتور يزيد الخولي، من أكبر مؤلفي قصص الخيال العلمي و لديك دكتوراه في علم الأساطير،كنت ناجحاً جداً في عملك، و لديك الكثير من الكتب و المؤلفات التي تمت ترجمتها الي مختلف لغات

obeikandl.com

العالم و حازت علي إعجاب الملايين و حصدت الكثير من الجوائز، و تحول معظمها الي أفلام و مسلسلات في معظم دول العالم.
منذ سبع سنوات ..كنت عائداً الي بيتك من عملك في الجامعة، ناديت علي زوجتك فلم ترُد..إتجهت إلي غرفة النوم فوجدتها ممددة علي السرير و أخيك جالس بجانبها، إستشطت غضباً، وأخرجت ذلك المسدس من جيب سترتك، و أفرغت ما به من طلقات في جسديهما، ليلقيا مصرعيهما في الحال، بعد ذلك جاءت والدتك تركض إلي الغرفة، كاد أن يُغمي عليها و سقطت علي الأرض جالسة ما بين اللطم و الصراخ.
عرفت منها بعد ذلك أن زوجتك قد إستدعتها هي وأخيك لكي ينظموا احتفالاً بعيد ميلادك الثلاثين.
و عندما كانت تفتح الباب لهما سقطت مغشياً عليها، و نقلاها الي الغرفة ثُم ذهبت والدتك لتجلب لها كوباً من الماء، و جئت أنت بعد ذلك و فعلت ما فعلت.تمَّ الحكم عليك بعد ذلك بالسجن خمسة عشر عاماً، لم تتحمل تأنيب ضميرك علي ما فعلت و حدث لك إنهيار عصبي، خاصةً بعد علمك أن زوجتك كانت حاملاً في شهرها الثالث، بعد أن كانت عاقراً لثمانِ سنوات كاملة! ،بعد إنهيارك تمَّ نقلك إلي هنا، مستشفي الأمراض النفسية و العصبية، و للأسف لأنك شخص حاد الذكاء و تتمتع بخيال خصب للغاية فقد تطور ذلك الإنهيار العصبي لديك إلي فُصامٍ حاد جعلك

تتخيل الكثير من الأشياء غير الحقيقية، و منذ أن جئت إلي هنا و أنت تعيش داخل مخيلتك في قصة كالتي تكتبها لقرائك. إخترعت عالماً وهمي بالكامل و تعايشت فيه، و دفنت نفسك بداخله،محاولاً أن تنسي فعلتك التي تخجل منها.تخيلت أنك في زمن غير زمننا، في العام ٢٠٥٠، محاولاً أن تبتعد بالزمن عن وقتنا الحالي، و لكن ضميرك لم يشأ أن يتركك تستريح حتي في خيالك، فبني لك شيئاً تقوم من خلاله بتعذيب نفسك مراراً و تكراراً كأسطورة سيسيفوس أو سيزيف، و شيّد لك صرحاً لذلك بالإعتماد علي خيالك تحت ما يسمي ب "سوق عذاب البشر" ، و هي تلك الشركة التي تجعلك تخوض تجارب مؤلمة و رهيبة تحت مسمي المرح ! د.يزيد، لقد جلدت ذاتك نفسياً و عقلياً بمازوخية شديدة..و لم ترحمها يوماً واحداً، حتي حينما كنت تخوض تلك التجارب، كنت تنهياً دائماً بالإنتحار لقناعتك إنك لا تستحق الحياه لما فعلته، دائماً ما كنت تحكم علي نفسك بالإعدام ! و لكنك اليوم بعد عشرات التجارب في خيالك، قررت ألا تمت، قررت أن تعيش!! تغلبت أخيراً علي ذلك الاحساس بالذنب، استمعت أخيراً الي نصائح الدكتورة كارلا، أتعرف من هي الدكتورة كارلا يا د.يزيد ؟

أجابه يزيد و الدموع تتساقط من عينيه :

- من، من هي ؟

obeikandl.com

- إنها إسقاط لاوعيك لصورة زوجتك (كارما)، تحاول أن تخفف عنك ذلك العبء الثقيل، ذلك الإحساس بالذنب. و لكن المشكلة أن وساوسك أيضاً كانت حاضرة فخَلَقَت شخصية دكتور فاريل و أنشأت بينه و بين كارلا تلك العلاقة، لتجعلك عالقاً في ذلك العالم الخيالي للأبد، عبداً لشكوكك، د.فاريل لم يكن هو الآخر إلا صورة لإسقاط لاوعيك لأخيك فريد! لقد شيدت داخل عقلك عالماً شديد التعقيد، واختبأت بداخله، حتي أن أغلب من إخترعتهم من شخصيات كانوا شخصيات أجنبية. أمريكيين ..إنجليز ..فرنسيين و غيرهم، و كُنت تتكلم معهم بلغاتهم، ساعدك في ذلك بالطبع اتقانك لسبع لغات حية و قدرتك علي التحدث بها بطلاقة! فعلت ذلك لتبتعد عن الواقع، و رغبتك في أن تعيش مع أشخاص غير الذين عرفتهم طيلة حياتك، بالضبط كمن يهاجر إلي بلدٍ أخري لكي يبتعد عن كل مكان يعرفه وعن كل الذكريات المرتبطة بتلك الأماكن، سبع سنوات كاملة، يوماً بعد يوم و أنت تنتحر ذهنياً، و لكن اليوم ..اليوم بالتحديد اخترت أن تعيش، و يسعدني أن أهنئك أنك استجبت أخيراً للعلاج، و إنك تقريباً قد تخلصت من ذلك الفصام و تلك الخيالات التي تعيش بداخلها.. سأضعك تحت الملاحظة لمدة شهر، ثُمَّ سنقرر ماذا نفعل بعدها، إذاً بقيت علي تلك الحال فسوف تخرج و لكن بالطبع بعد أن تقرر المحكمة هل ستكمل مدّتك في السجن أم بالخارج تحت

المراقبة، و الآن سأفك وثاقك كما وعدتك.

نهض الطبيب و أخذ في حل وثاق يزيد الذي سأله باكياً :

- هل يمكن أن أري صورة زوجتي و أخي، و أريد أن أري أمي، لازالت حية؟ أليس كذلك ؟
- هذا الملف به كل شيء عنك و عن حالتك، ستجد به صور زوجتك و أخيك، و سأتصل بوالدتك لتأتي، سوف تطير فرحاً عندما أخبرها عن تحسنك! و ها أنا قد حللت وثاقك، سأغادر الآن لأخبرهم بتحضير غرفةً أخري لك غير هذه و سأعود بعد قليل، اه نسيت ..أنا الدكتور كريم الشناوي.

قالها مبتسماً ثُمَّ ربت علي كتف يزيد و غادر الغرفة.

نهض يزيد جالساً علي السرير ممسكاً بذلك الملف بين يديه

- إنه يشبه ذلك الملف الذي كانت تحتضنه كارلا دائماً!

فتح الملف و هو يمسح تلك الدموع التي سالت من عينيه.

كان يقرأ تشخيص حالته و تطورها يوماً بعد يوم، ثم وجد صورتين، صورة زوجته و صورة أخيه ، كارما و فريد.

- إنهما يشبهان كارلا و فاريل! يا الهي، ما الذي فعلته,كيف!كيف !

أغلق الملف و أمسك بالصورتين منهارً في البكاء ..

ظلَّ علي تلك الحالة لساعة كاملة، ثم توقف فجأة عن البكاء!

وضع الملف علي المقعد و وضع الصورتين مقلوبتين أعلاه، ثم تمدد علي السرير في وضع النوم، أغمض عينيه و إبتسم.

إنطلقت في أذنيه صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي المألوف من جديد:

- إنتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة ! و القواعد كما هي يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن، ليس لديك سلاح، غذاء أو دواء! ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة! لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بانهائها بنجاح أو بالموت ! شكراً علي إستماعكم للإرشادات! نرجوا أن تستمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح ! أنتم في المحاكي رقم ٩ لتجربة مصاصي الدماء! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة .. ١٠ ..٩..٨..٧..٦..٥..٤..٣..٢..١..٠.....إنطلاق ...!

*يمكنك الاستماع إلي بعض المقطوعات الموسيقية و أنت تقرأ الكتاب مثل :

١- La Foule-Edith Piaf

٢-Fly Me To The Moon-Frank Sinatra

٣- Just In Time-Nina Simone

٤-Milonga Del Ángel-Astor Piazzolla

٥-La Vie En Rose-Louis Armstrong

٦-Nat King Cole-Unforgettable

٧-Can’t Smile Without You-Barry Manilow

٨-فيروز- عندي ثقة فيك

٩-وحدة- دينا الوديدي

١٠-إنت عمري- أم كلثوم

obeikandl.com

فهرس

حكايات يناير	٣٣
رسائل إلي الجنة	٩٩
إشارة مرور	١٢٣
سكارلت	١٣١
صندوق زجاج	٢١١
سوق عذاب البشر	٢١٧
فهرس	٢٦٦

obeikandi.com

obeikandl.com

عمر كال الدين
سكارلت
رقم الايداع / ٥٧٢٨/ ٢٠١٤ط١
الترقيم الدولى / ٦ - ٦٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

obeikandl.com